فقه التعامل مع الأســـرة

تأليف

محمد بن عوض المصري





الإسكندرية ت/ ٠٣/٥٤٩٦١٠٧ فاكس/ ٠٣/٥٥٦٧١٣٤
safa .merwa@yahoo.com
safa.merwa@hotmail.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م

رقم الإيداع: ٧٨١٩/ ٢٠٠٨م

الترقيم الدولي: I.S.B.N

٩٧٧- ٦١٦٨- ٦٩- ٨

المصري؛ محمد بن عوض

كتاب: فقه التعامل مع الأسرة

تأليف: محمد بن عوض المصري

دار الصفا والمروة للنشر والتوزيع، ٢٠٠٨

دار الصفا والمروة

للنشر والتوزيع

١٨٥ ش جمال عبد الناصر - نهاية نفق سيدي بشر

الإسكندرية ت: ٠٣/٥٤٩٦١٠٧ فاكس: ٠٣/٥٥٦٧١٣٤

Email: safa.meraw@yahoo.com

safa.merwa@hotmail.com

إهـــداء

إلى المدرسة التي تعلمتُ فيها البر والحنان..

تعلمتُ فيها البذل والتواصل والعطاء.. إلى روح أمي عليها رحمة الله ورضوانه.

إلى المدرسة التي كانت تصل الرحم، وتقرى الضيف، التي كان إذا أساء أحدٌ إليها أحسنت هي إليه، وإن قطعها أحد وصلته هي، فعند الله وحده جزاؤكِ يا أمي.

يَا أُمُّ تَبْكِيكِ الرِّجال كَأَنَّما   هُمْ نسوةٌ بَكَّتْ على شُبَّانِ

سائلا المولى سبحانه وتعالى أن يجعل هذا العمل في ميزان حسناتها، إنه جواد كريم.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

نسأل الله تعالى حسن الخاتمة

الحمد لله الذي خلق من الماء بشرًا فجعله نسبًا وصهرًا، وأوجب صلة الأنساب، وأعظم ذلك أجرًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة أعدها ليوم القيامه ذخرًا.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله أعظم الناس قدرًا، وأرفعهم ذكرًا، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين قاموا بالحق، وكانوا به أحرى، وعلى التابعين لهم بإحسان، وسلم تسليمًا.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الاحزاب: ٧٠-٧١]

ثم أما بعد،،،

فلقد بعث النبى ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق فقال: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ صَالِحَ الأَخلاقِ**»[١].

---

(١) رواه البخاري في الأدب المفرد: (٢٧٣)، والإمام أحمد (٢/ ٣١٨)، والحاكم (٢/ ٦١٣)، وصححه على شرط مسلم.

لذا ما ترك من خير وإلا دلنا عليه، وما من شر إلا وحذرنا منه، قال ﷺ مبينا صفه خير الناس: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا»[١].

ومن أعظم الأخلاق التى كانت قبل بعثة النبى ﷺ - وَبُعِثَ النبى ﷺ فشدد على أهمية التحلى بها، وأداء حقها - صلة الرحم.

صله الرحم شعيرة من شعائر الإسلام، وخلق طيب من أخلاق الكرام، وإن من صالح عمل المخلصين الطائعين لرب العالمين صلة الأرحام، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾ [الرعد: ١٩ - ٢٣].

فالرحم بين الناس بمثابة الخيط الذى يضم الحبات المتفرقة؛ فيتكون منها عقد واحد، له اسم واحد، ووجود واحد، وقوة واحدة، ذلك العقد هو الأسرة، ومن الأسر تتكون الأمة، وكلما كانت الأسرة متماسكة أفرادها، مترابطة قلوبها، مُتَبَادَلَةٌ عواطفها، متحدة فى الشعور بحاجات أفرادها، كانت الأمة كذلك مترابطة متماسكة متضامنة، مصلحة الفرد فيها من مصلحة الجماعة، ومصلحة الجماعة من مصلحة الفرد، لاتعرف الانحلال، ولا التخاذل، ولا التواكل، وبذلك تحيا الأمة حياة قوية.

وحسبها ذلك عزة وسعادة! وإذا كان الإحسان مطلوبا بين الناس عامة قيامًا بحق الإنسانية المشترك، ومطلوبًا بين المؤمنين على وجه خاص قيامًا بحق الأخوة الدينية، فإنه بين الأقارب مطلوب على وجه أخص، وعلى نحو ألزم، قيامًا بحق الرحم التى كانت محل عناية عظيمة فى الوصايا الإلهية، وفى الهدى النبوى الكريم:

(١) صحيح: رواه الترمذي(٢٠١٨)، وصححه الألباني في الصحيحة(٢٢٠١).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحبة، وذلك كنفع الناس بالمال والبدن والعلم، وغير ذلك من أنواع النفع، حتى إنه يدخل فيه الاحسان إلى الحيوان البهيم المأكول، وغيره.

وخص الله إيتاء ذى القربى – وإن كان داخلا فى العموم – لتأكد حقهم، وتعين صلتهم وبرهم، والحرص على ذلك.

ويدخل فى ذلك جميع الأقارب، قريبهم وبعيدهم، لكن كل من كان أقرب كان أحق بالبر[١]

وقال النبى ﷺ **«أَرْحَامَكُمْ أَرْحَامَكُمْ»**[٢]، **«بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بالسَّلام»**[٣]، ولكن فى زمن غربة الدين، وانشغال الخلق بالدنيا والأموال والبنين، والبعد عن شرع رب العالمين، وسنة سيد المرسلين ﷺ أصبحت المحبة والولاء لا للعقيدة والدين، بل للمصالح الشخصية، والأهواء النفسية؛ فإلى الله المشتكى من قسوة قلوبنا.

أما فى عهد الصحابة الأماجد رضوان الله عليهم، الواصلين لأرحامهم، الباذلين لأموالهم فى سبيل الله كان المثل يضرب بواصل الرحم، ومن ذلك قول الشاعر:

إذا صاحبت قومًا أهل فضلٍ … فكن لهم كذى الرحم الشفيق

فتأمل نماذج من سيرهم:

أم المؤمنين زينب بنت جحش ﵂ يرسل إليها عمر بن الخطاب ﵁ عطاءها اثنى عشر ألفًا فقسمته فى أهل رحمها، وفى أهل الحاجة.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن – للشيخ السعدى : (٤٤٧).

(٢) صحيح: رواه ابن حبان عن أنس، وصححه الشيخ الألباني في الصحيحة (١٥٣٨).

(٣) حسن: رواه البزار والبيهقي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢٨٣٥).



وهذا حكيم بن حزام بن خويلد ﷺ لما تُوفى ابن عمه الزبير بن العوام بن خويلد، لقى حكيم عبد الله بن الزبير رضي الله عن الجميع:

فقال: كم ترك أخي من الدَّيْن؟

قال: ألف ألف. قال: عَلَيَّ خمسمائة ألف.

أما فى زماننا قل الوفاء، وكثر الشقاء، وازداد البلاء لقلة إنصاف أهل زماننا؛ فالله المستعان.

ولهذا كان نصيحة الأجداد لأبنائهم كما قال شاعرهم:

أبنى تميم إننى أنا عمكم لاتحرَمُنَّ نصيحة الأعمام

إنى أرى سبب الفناء وإنما سبب الفناء قطيعة الأرحامِ

فتداركوا بأبى وأمى أنتمُ أرحامَكم برواجح الأحلامِ

ونحن فى زماننا هذا أصبح لسان البعض لأرحامه، كما قال الفضل بن العباس فى بنى أمية:

لاتطمعوا أن تهينونا ونكرمكم وأن نكف الأذى عنكم وتؤذونا

مهلا بني عمنا مهلا موالينا لاتنشروا بيننا ما كان مدفونا

ونظرًا لهذا التفريط الملموس أجدُ نفسى أُدفع دفعًا لتناول هذا الموضوع الخطير الهام؛ فاستعنت بالملك العلام، وأفضت الكلام عن صلة الأرحام وآثارها، وفضائلها، ووسائلها، والأمور المعينة على الصلة، وعن قطيعة الرحم وأسبابها، ومظاهرها، وخطرها، وكيف يكون علاج قطيعه الرحم، ثم ذكرت قصصًا لعل أن تكون فيها عبرة وعظة، ثم ذكرت اعتراضات والردود عليها، وسميته **(فقه التعامل مع الأسرة)**[1] فاللهم اجعلنا ممن وفقته لطاعتك، والبعد عن معاصيك.

---

(١) الأسرة: الدرع الحصينة، والأسرة: عشيرة الرجل وأهله لأنه يتقوى بهم (لسان العرب – أسر).

اللهم اجعلنا ممن يصلون أرحامهم، ويودون من قطعهم، ويعفون عمن ظلمهم.

كما أسأله سبحانه وتعالى أن يجعل عملنا كله صالحًا، وأن يجعله لوجهه خالصًا، وأن يكتبه فى موازين أعمالنا، وأن يبارك فيه، ويجعل له القبول، وأن يعمّ المسلمين بنفعه، إنه سميع الدعاء، وعليه التوكل، ومنه الرجاء.

وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم

وكتبه

محمد بن عوض المصري

غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين

❑★❑★❑

واقع تنفطر منه القلوب

فى هذا الزمان الذي لاحت فيه أمارات الساعة: من فشو التجارة، والسلام على الخاصة، وقطيعة الرحم نجد أن النفوس قد استشرى فيها حب الدنيا، وأصبح الشغل الشاغل والهم البائر هو هذه الدنيا: كم جُمِعَ فيها من مال؟ ووُصِلَ فيها إلى مناصب؟ وحصل فيها من شهادات ودرجات؟

ولكن السؤال يأتى مريرًا وسط هذا الصراع الهائل نحو الدنيا ألا وهو:

لحساب من؟ ولمصلحة من؟

ستتعدد الإجابات ظاهرًا، ولكن الحقيقه التى ينخلعُ القلب من هولها وقد استخلصتها بمرور الأيام: أنها لحساب النفس والهوى، ومصلحة النفس والهوى، ومن أجل هذا أصبحت ساحات المحاكم مليئة بالقضايا التى يتخاصم فيها ذوو الأرحام، بل وتطالعنا الجرائد من خلال صفحات الحوادث بأنهار الدماء تسيل بين الأشقاء، وأبناء العمومة الواحدة.

أما صلة الرحم، أما العلاقة مع الآخرين فهى أشبه بأداء الواجب الممل إذا تذكره قام به على مضض، حتى وصل الحال أنه ربما لايرى بعضهم البعض إلا فى المناسبات، وربما يموت الواحد منهم ويُدفن دون أن يدرى الآخر بأن شقيقه قد مات.

فهذا رجل يلتقى ببعض أصدقائه وأقاربه، فيسألهم أين كانوا؟ فيجيبونه قائلين: لقد دفنا أحد أقاربك، وهو آخر من يعلم، ومن هنا انتشرت هذه الأقوال:

العم غم، والخال وبال، والأقارب عقارب، وما تيجي المصايب إلا من الأقارب.

وقول عبد الله بن المعتز فيهم:

لحومهم لحمى وهـــم يأكلونـــه وما داهيات المـــرء إلا أقاربه

ونسى هؤلاء جميعًا أن هذه الدنيا مهما طالت فهى قصيرة، ومهما عظمت فهى حقيرة.

فالدنيا نابتة على مزبلة منتنة، يا دنيء الهمة قنعت بروضة على مزبلة، والملك يدعوك إلى فردوسه الأعلى؛ قال ﷺ: «لَوْ كَانَ لابْنِ آدَمَ وَادِيَانِ مِنْ ذهَبٍ لا بْتَغَى لَهُمَا ثَالِثًا، وَلا يَمْلأُ جَوْفَ ابْنِ آدَمَ إلا التُّرَابُ، وَيَتُوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تَابَ»[(١)].

لو فكر الطامع فى عاقبة الدنيا لقنع، ولو تذكر الجائع فضول مآلها لشبع.

وقد ضرب الله فى كتابه مثل الدنيا وخضرتها ونضرتها وبهجتها، وسرعة تقلبها وزوالها، وجعل مثلها كمثل نبات الأرض النابت من مطر السماء فى أحواله ومآله، قال تعالى: ﴿ وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ ٱلرِّيَٰحُ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴾ [الكهف ٤٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ ۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [يونس ٢٤][(٢)].

فلمَ التناحر والتنافس؟ لماذا القطيعة والنفاق؟ لماذا الشحناء والبغضاء؟ لماذا الزور والبهتان؟ من أجل ماذا؟ أمن أجل هذه الدنيا؟!!

عباد الله:

ألا ترون أنكم تُشَيِّعُونَ فى كل يوم غاديًا، رائحًا إلى الله تعالى، قد قضى نحبه، وانقطع أمله، فتضعونه فى بطن صدع من الأرض غير مُوَسَّدٍ ولا مُمَهَّدٍ، قد قطع الأسباب، وفارق الأحباب، وواجه الحساب.

اللهم أيقظنا من غفلتنا بفضلك وإحسانك، وتجاوز عن سيئاتنا بعفوك وغفرانك.



(١) متفق عليه.

(٢) تحفة المواعظ (١/ ١٤٥ – ١٤٨) باختصار.

الله.. الله فى أرحامكم

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١]

يقول الله تعالى آمرًا خلقه بتقواه، وهى عبادته وحده لاشريك له، ومنبهًا لهم على قدرته التى خلقهم بها ﴿مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾، وهى آدم ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ وهى حواء، خلقت من ضلعه الأيسر.

وقوله: ﴿وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً﴾ أى ذرأ منهما: أى من آدم وحواء رجالا كثيرًا ونساءً، ونشرهم فى أقطار العالم على اختلاف أصنافهم وألوانهم، مع رجوعهم إلى أصل واحد ليعطف بعضهم على بعض، ويرفق بعضهم ببعض، ويرقق بعضهم على بعض.

ثم قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾ أى اتقوا الله بطاعتكم إياه، واتقوا الأرحام أن تقطعوها، ولكن بروها وصلوها.

وقرن الأمر بتقواه بالأمر ببر الأرحام، والنهى عن قطيعتها، ليؤكد هذا الحق، وأنه كما يلزم القيام بحق الله، كذلك يجب القيام بحقوق الخلق، خصوصًا الأقربين منهم، بل القيام بحقوقهم هو من حق الله الذى أمر الله به، وتأمل كيف افتتح هذه السورة بالأمر بالتقوى، وصلة الرحم، والأزواج عمومًا.

قوله تعالى ﴿تَسَآءَلُونَ بِهِۦ﴾ أى كما يقال: أسالك بالله وبالرحم، وقيل: تتعاقدون وتتعاهدون به[١].

وعن ابن عباس ﷺ قال: قال الله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ [الإسراء: ٢٦] قال: بدأ فأمر بأوجب الحقوق، ودل على أفضل الأعمال إذا

(١) تفسير ابن كثير (٨، ١٢٤ – ١٢٥)، تفسير السعدى (١٦٣).

كان عنده شيء؛ فقال: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ﴾، وعلمه إذا لم يكن عنده شيء كيف يقول؛ فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٨] عده حسنة، عندما يأتي فرج الله برزق من عنده كأنه قد كان، ولعله أن يكون إن شاء الله.

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾: أي لا تعط شيئًا، ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ ﴾: أي تعطي كل ما عندك؛ ﴿فَتَقْعُدَ مَلُومًا ﴾: يلومك من يأتيك بعدُ ولا يجد عندك شيئًا، ﴿مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩] قال: قد حسرك من قد أعطيته[1].

- صلة الرحم ميثاق السابقين، قال تعالى:-

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [البقرة: ٨٣]

ثم لم يفعل اليهود أي شيء من هذه الأمور؛ لذا أمر الله ﷻ أمة الإسلام في سورة النساء بهذه الأوامر؛ فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴾ [النساء: ٣٦]

وهنا الأمر بصلة الرحم، وبالجار ذي القربى لأن له حقين: حق الجوار، وحق القربى.

وقال تعالى: ﴿ وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُو۟لُوا۟ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨]

أي إذا حضر قسمة المواريث الأقارب غير الوارثين فأعطوهم ما تيسر من هذا المال الذي جاءكم بغير كد ولا تعب، ولا عناء ولا نصب، فإن نفوسهم متشوقة إليه، وقلوبهم متطلعة، فاجبروا خواطرهم بما لا يضركم، وهو نافعهم.

---

(١) الأدب المفرد: (٥ / ٢٦).

وقال ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ[١] قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بكَ مِنَ القَطِيعَةِ. قَالَ: نعَمْ: أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذلِكَ لَكِ»[٢]

وفى رواية للبخارى فقال الله تعالى: « مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ» وفى رواية أنس ﷺ عن النبى ﷺ أنه قال: «الرَّحِمُ حُجْنَةٌ[٣] مُتَمَسِّكَةٌ بالعَرْشِ، تَكَلَّمُ بلِسَانٍ زَلْقٍ: اللَّهُمَّ صِلْ مَنْ وَصَلَنِي، وَاقْطَعْ مَنْ قَطَعَنِي، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ، وَإِنِّى شَقَقْتُ لِلرَّحِمِ مِنَ اسْمِى؛ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ بَتَكَهَا[٤] بَتَكْتُهُ»[٥].

وعن أبى هريره ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتى؟ قال: «**أُمُّكَ**» قال: ثم من؟ قال: «**أُمُّكَ**»، قال: ثم من؟ قال: «**أُمُّكَ**»، قال: ثم من؟ قال: «**أَبُوكَ**». وفى رواية «**ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**»[٦] أى أرحامك أرحامك.

وقال ﷺ: «اعْرِفُوا أَنْسَابَكُمْ تَصِلُوا أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّهُ لا قُرْبَى بالرَّحِمِ إِذا قُطِعَتْ وَإِنْ قَرِيبَةً، وَلا بُعْدَ بِهِ إِذَا وُصِلَتْ وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً»[٧].

أى لا تكون بعيدة إذا وصلت.

وعن أبى عبد الله عمرو بن العاص ﷺ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ جهارًا يقول: «إِنَّ آلَ بَنِى فُلانٍ لَيْسُوا بأَوْلِيَائِى، إِنَّمَا وَلِيِيَ اللهُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبِلالِهَا»[٨].

---

(١) أى كمل خلقهم، والعائذ: والمستعيذ، هو المعتصم بالشئ الملتجىء به.

(٢) متفق عليه.

(٣) الحجنة: هى صنارة المغزل؛ وهى الحديدة العقفاء التى يعلق بها الخيط، ثم يفتل الغزل.

(٤) بتكها: قطعها.

(٥) صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣١).

(٦) متفق عليه.

(٧) رواه الطيالسى والحاكم عن ابن عباس وصححه الألبانى فى الصحيحة (٢٧٧).

(٨) متفق عليه واللفظ للبخارى.

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وبين أن لهم رحمًا سيبلهم ببلالها، أى سيبلها بالماء، وذلك لأن قطيعة الرحم نار، والماء يطفئ النار، وقطيعة الرحم موت، والماء به الحياة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] فشبه الرسول ﷺ صلة الرحم بالماء الذى يبل به الشيء، وقوله ﷺ: «إِنَّ آلَ بَنِى فُلانٍ لَيْسُوا بِأَوْلِيَائِى»؛ وذلك لأنهم كفار، والواجب على المؤمن أن يتبرأ من ولاية الكافرين، كما قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُوا۟ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُا۟ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ﴾ [الممتحنة: ٤] فتبرأ منهم مع قرابتهم له.

قال: «وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ أَبُلُّهَا بِبِلالِهَا» يعنى سأعطيها حقها من الصلة، وإن كانوا كفارًا.

وهذا يدل على أن القريب له حق الصلة، وإن كان كافرًا، لكن ليس له الولاية، فلا يوالى ولايناصر لما عليه من الباطل.

وفى بشارة النبى ﷺ بفتح مصر: «فَإِذَا افْتَتَحْتُمُوهَا، فَأَحْسِنُوا إِلَى أَهْلِهَا، فَإِنَّ لَهُمْ ذِمَّةً وَرَحِمًا»، أو قال: «ذِمَّةً وَصِهْرًا»[(١)]. قال العلماء: الرحم التى لهم كون هاجر أم إسماعيل ﷺ منهم، والصهر: كون مارية أم إبراهيم بن رسول الله ﷺ منهم؛ فدل ذلك على أن الرحم لها صلة ولو كانت بعيدة، مادمت تعرف أن هؤلاء من قبيلتك فلهم الصلة، ولو كانوا بعداء.

ودل أيضا على أن صلة القرابة من جهة الأم كصلة القرابة من جهة الأب[(٢)].



(١) رواه مسلم.

(٢) شرح رياض الصالحين(٢/ ١٤٠ – ١٤١)

صلة الرحم

قال الإمام الصنعاني رحمه الله:

الصِّلَةُ بكسر الصاد المهملة مصدر وصله، كوعده عدة[١].

قال ابن فارس رحمه الله:

الراء والحاء والميم أصل واحد يدل على الرقة، والعطف والرأفة، يقال من ذلك: رحمه يرحمه إذا رق له، وتعطف عليه، والرحم والمرحمة والرحمة بمعنى، والرحم علاقة القرابة، ثم سميت رحم الأنثى رحمًا من هذا؛ لأن منها ما يكون يُرْحَمُ ويُرَقُّ له: من ولد[٢].

قال القاضى عياض رحمه الله:

الرحم التى توصل وتقطع وتبر إنما هى معنى فى المعانى، ليست بجسم، وإنما هى قرابة ونسب، تجمعه رحم والدة، ويتصل بعضه ببعض؛ فسمى ذلك الاتصال رحمًا[٣].

قال ابن جرير رحمه الله:

صلة الرحم هي أداء الواجب لها من حقوق الله التي أوجب لها، والتلطف عليها بما يحق التعطف به عليها[٤].

والرحم هم قرابة الرجل من طرفى أبيه وأمه؛ فتجب لهم الحقوق الخاصة:

من المحبه والنصرة، وعدم القطيعة، والقيام بحقوقهم: كتمريض المرضى، وحقوق الموتى: من غسلهم والصلاة عليهم، وغير ذلك من حقوق المسلمين، وزيادة على ذلك النفقة على المحتاج منهم، وتفقد أحوالهم، وترك التغافل عن تعاهدهم فى أوقات ضروراتهم، حتى اذا تزاحمت الحقوق بدأ بالأقرب فالأقرب.

---

(١) سبل السلام (٤/ ٢٧٩).

(٢) مقاييس اللغة: (٢/ ٤٩٨) مادة (ر ح م).

(٣) شرح صحيح مسلم (١٦/ ٨٨).

(٤) جامع البيان (١/ ١٤٤).

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

الرحم التي توصل عامة وخاصة؛ فالعامة رحم الدين، وتجب صلتها بالتوادد والتناصح والعدل والإنصاف، والقيام بالحقوق الواجبة والمستحبة.

والرحم الخاصة تزيد بالنفقة على القريب، وتفقد حاله، والتغافل عن زلته.

قال ابن أبي جمرة رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى الجامع لصلة الرحم إيصال ما أمكن من الخير، ودفع ما أمكن من الشر بحسب الطاقة، وهذا إنما يستمر إذا كان أهل الرحم أهل استقامة؛ فإن كانوا كفارًا أو فجارًا فمقاطعتهم فى الله هى صلتهم، بشرط بذل الجهد فى وعظهم، ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا تسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريق المثلى.

قال ابن الأثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهى كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوى النسب والأصهار، والعطف عليهم، والرفق بهم، والرعاية لأحوالهم، وكذلك إن بعدوا وأساءوا، وقطع الرحم ضد ذلك كله[١].



(١) لسان العرب (١١/ ٧٢٨).

أهمية صلة الرحم

صلة الرحم معنًى من المعانى الكريمة التى تقوم بين الناس، وهى القرابة التى تربط الأفراد، وتشد الأسرة بعضها ببعض، وصله الرحم تكون بحسن الأقوال والأفعال، وبذل الأموال لمن تربطك به صلة نسب وقرابة.

فتتأكد بذلك الروابط بين الأقارب، وتقوى المودة بينهم؛ فيتعاونون فى سراء الحياة وضرائها، ويعيشون جميعًا فى ظل هذا الترابط، وهذه المودة، وذلك التعاون أسرة واحدة متحابة، يأخذ القوى منها بيد الضعيف، والصحيح بيد المريض، والغنى بيد الفقير، يعيشون بإحساس واحد مشترك، يألم الواحد منهم لألم أخيه وقريبه، ويفرح لفرحه.

والحياة فى ظروفها ومتاعبها ومفاجآتها تحتاج لمثل هذا الترابط؛ فالإنسان لا يقوى على مجابهتها، ولا يصمد أمام تياراتها؛ فلا بد من إنسان يقف بجانبه، يعينه عليها، ويساعده على تحمل مشقاتها، وتخفيف حدتها، حتى فيما تأتي به من أفراح يشعر الإنسان بالحاجة إلى من يقف معه فيها: يشاركه أفراحه، ويساهم معه فى اغتباطه ومسئولياته؛ ليزداد بذلك شعوره بالفرحة، ويتضاعف إحساسه بالغبطة[1]، وأولى الناس بالوقوف مع الإنسان فى أيام الحزن والفرح، والشدة والرخاء هم أقاربه الذين تجمعهم وإياه صلة نسب وقرابة.

فإذا تجاوب الأقارب مع هذا المعنى، وحققوه فى صلاتهم بعضهم ببعض كانوا واصلين لأرحامهم، بارين بقرابتهم، وأصبحوا تبعا لذلك قوة متماسكة، وجماعة مترابطة متعاونة، ولبنة قوية فى بناء مجتمع قوى سليم.

ومن أجل هذا، من أجل تجميل الحياة بالأحباب حول الإنسان عني الإسلام بصلة الرحم هذه العناية الخاصة، وجاءت الآيات والأحاديث تبين فضل هذه الصلة، وتبرز

---

(١) الغبطة: السعادة.

محاسنها، وتعدها صفة بارزة من صفات المؤمنين أولى الألباب، الذين يحرصون على رضا خالقهم، ويخشون سوء الحساب فى آخرتهم؛ فكانوا بذلك سعداء في الدنيا والآخرة.

إن صلة الرحم حياة من الدفء العاطفى، والصلة الرحيمة، والحنان الدافق يصنعها الإسلام للإنسان وهو يوجهه إلى أن يكون بارًا دائمًا بذوي رحمه.

حياة من التمسك والتعاون النابعين من القلب في الأسرة الواحدة، يصنعها الإسلام وهو يشدد عليه بأن يكون بارًا بذوى رحمه.

حياة يصنعها الإسلام لأبنائه، ويوصيهم كثيرًا بأن يحرصوا عليها لأنها سر سعادتهم، أو أساس بنيانهم.

ومن منا لا يسعد حين يرى أقاربه كلهم حوله بقلوبهم؟

لايزال هذا الدفء العاطفى ميزة من ميزات الأسرة الشرقية المسلمة فى نظر الغربيين الذين مزقت المادة حياتهم.

والمسلم تحركه دوافع أخرى:

أولا: أن يكون من خير الناس، أو خيرهم:

فالمسلم يبحث عن رضا الله ومحبته، وأن يحقق الخيرية فى نفسه، ويكون من خير الناس أو خيرهم، يقول الرسول ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا»[1] وهو يبحث عن الأجر العظيم الذى يحصل من الأخلاق الطيبة، والمسلم لا يكون حَسَنَ الخلق لكى يكسب مصلحة، وإنما يفعل ذلك ليكسب رضا الله سبحانه وتعالى، وهنا تستمر الأخلاق الحسنة: سواء رضي الناس أم لم يرضوا، تحسنت العلاقة أم لم تتحسن، كسب الود أم لم يكسب؛ فالأجر ثابت على أية حال، وهذا هو ضمان الاستمرارية، قال ﷺ «إِنَّ الرَّجُلَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَاتِ قَائِمِ اللَّيْلِ وَصَائِمِ النَّهَارِ»[2] وهذا الخلق

---

(١) السلسة الصحيحة للألبانى وهو فى الصحيحين بلفظ قريب.

(٢) رواه الحاكم في المستدرك، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

الطيب صفة من صفات المؤمنين، يقول الرسول ﷺ «الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلا خَيْرَ فِيمَنْ لا يَأْلَفُ وَلا يُؤْلَفُ وَخَيْرُ النَّاسِ أَنفَعُهُمْ لِلنَّاسِ»(١).

ثانيًا: الأخلاق الحسنة مأمور بها:

فالله أمرنا أن نلتزم الحكمة فى التعامل مع الناس قال تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ [النحل: ١٢٥]، والحكمة هى الطريقة التى يعرض بها الإنسان ما عنده من أفكار وأحكام، وقد وصف الله سبحانه وتعالى رسوله ﷺ بأنه كان لين الجانب، وهو إن لم يكن كذلك خسر الناس، وانفضوا من حوله، وهم الصحابة، وهو الرسول ﷺ؛ فلم يقل النبى ﷺ من أراد فليأت، ومن لم يرد فلا يهمنا، إنما كان حريصًا عليهم، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ﴾

[آل عمران: ١٥٩]

تتجاوز عن الأخطاء، وتغض الطرف عنهم، تستغفر لهم؛ وسيلة من وسائل تشجيعهم، وتنمية السلوك الطيب فيهم، وتشاورهم فى الأمر: أى تحترم رأيهم وتقدرهم، وتعطيهم شيئًا من القيمة وأنت تتعامل معهم، ما أسهل الناس وأنت تشاورهم.

يقول ميمون بن مهران: التودد إلى الناس نصف العقل(٢).

هذا كله يكون مع جميع الناس فما بالنا بالأقارب الذين تربطنا بهم مشاعر فطرية، وأحاسيس جياشة ورحمة؛ فلا تتحقق سعادة المرء إلا بصلة الرحم؛ فتحيا العائلة حياة كريمة تربطها علاقات قوية من العطف والتعاون والرحمة والمحبة، ولو تحقق هذا التراحم بين الأقارب لكان له أثره على المجتمع بأسره، قال رسول الله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِى تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الجَسَدِ الوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالحُمَّى»(٣).

---

(١) صحيح الجامع (٦٦٦١).

(٢) بتصرف من كتاب فن التعامل مع الناس للدكتور عبد الله الخاطر.

(٣) متفق عليه.

فضائل صلة الرحم

١ - صلة الرحم من لوازم الايمان بالله واليوم الآخر:

فعن أبى هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[١]

٢ - صلة الرحم سبب لزيادة العمر، وبسط الرزق

فعن أنس بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ أحَبَّ أنْ يُبْسَطَ لَهُ فِى رزْقِهِ، وَيُنْسأَ لَهُ فِى أثرهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٢]، وقال ﷺ: «فإنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ: مَحَبَّةٌ فِى الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِى المَالِ، مَنْسَأَةٌ فِى الأثر»[٣].

وقال ﷺ: «صِلَةُ الرَّحَمِ، وَحُسْنُ الخُلُقِ، وَحُسْنُ الجِوَارِ، يُعَمِّرْنَ الدِّيَارَ، وَيُزِدْنَ فِى الأَعْمَارِ»[٤].

ومما قيل فى زيادة العمر وبسط الرزق فى الحديث مايلى:

١ - إن المَقْصُودَ بالزِّيَادَةِ أَنْ يُبَارِكَ الله فِى الإنسان الواصل، ويهبه قوة فى جسمه، ورجاحة فى العقل، ومضاءً فى العزيمة؛ فتكون حياته حافلة بجلائل الأعمال.

٢ - أن الزيادة على حقيقتها؛ فالذى يصل رحمه يزيده الله في عمره، ويوسع له في رزقه؛ فصلة الرحم سبب لزيادة العمر، وبسط الرزق.

ولاعجب فى ذلك؛ فكما أن الصحة، وطيب الهواء، وطيب الغذاء، واستعمال الأمور المقوية للأبدان والقلوب من أسباب طول العمر؛ فكذلك صلة الرحم جعلها الله

---

(١) رواه البخاري (٦١٣٨)، فتح الباري (١٠/ ٥٤٨).

(٢) متفق عليه.

(٣) رواه الترمذي (١٩٧٩) البر.

(٤) رواه أحمد (٦/ ١٥٩)، والصحيحة (٥١٩).

سببًا ربانيًّا؛ فإن الأسباب التى تحصل بها المحبوبات الدنيوية قسمان: أمور محسوسة تدخل فى إدراك الحواس، ومدارك العقول، وأمور ربانية إلهية قدرها من هو على كل شيء قدير، ومَن جميع الأسباب وأمور العالم منقادة لمشيئته[١].

وعن على ﷺ عن النبى ﷺ قال: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُبْسَطَ فِى رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ فِي أَثَرِهِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ»[٢]، وقد يشكل هذا الأمر على بعض الناس فيقول:

إذا كانت الأرزاق مكتوبة، والآجال مضروبة، لاتزيد ولا تنقص، كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٤] فكيف نوفق بين ذلك، وبين الحديث السابق؟

الجواب: الجمع بينهما من وجهين:

أحدهما: أن الزيادة كناية عن البركة فى العمر بسبب التوفيق إلى الطاعة، وعمارة وقته بما ينفعه فى الآخرة، وصيانته عن تضييعه فى غير ذلك.

فصلة الرحم تكون سببًا للتوفيق للطاعة، والصيانة عن المعصية؛ فيبقى بعده الذكر الجميل؛ فكأنه لم يمت.

ثانيهما: أن الزيادة على حقيقتها؛ وذلك بالنسبة إلى علم الملك الموكل بالعمر، وأما الذى دلت عليه الآية فبالنسبة إلى علم الله تعالى؛ كأن يُقال إن عمر فلان مائة مثلا إن وصل رحمه، وستون إن قطعها، وقد سبق فى علم الله أنه يصل أو يقطع؛ فالذى في علم الله لا يتقدم أو يتأخر، والذي في علم المَلَكِ هو الذي فيه الزيادة أو النقصان، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ الْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

فالمحو والإثبات بالنسبة لما في علم الملك.

---

(١) بهجة قلوب الأبرار للشيخ عبد الرحمن السعدي ص(٧٤، ٧٥).

(٢) رواه أبو داود (١٦٩٣) الزكاة - الصحيحة (٦٧٢).

وقيل فيه جواب ثالث: وهو أن واصل رحمه تكون له الذرية الصالحة يدعون له من بعده[(١)].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال: مكتوب في التوراة: من أحب أن يزاد في عمره، ويزاد في رزقه فليصل رحمه[(٢)].

٣ - صلة الرحم تجلب صلة الله للواصل:

قال ﷺ: **«إنَّ الله تَعَالَى خَلَقَ الخَلْقَ حَتَّى إذا فَرَغ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ فَقَالَتْ: هَذا مَقَامُ العَائِذِ بكَ مِنَ القَطِيعَةِ. قَالَ: نعَمْ: أَمَا تَرْضَيْنَ أنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذلِكَ لَكِ»**[(٣)].

وعن عائشة رضي الله عنها عن النبي ﷺ قال: **«الرَّحِمُ مُعَلَّقَةٌ بالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ الله، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ الله»**[(٤)].

٤ – صلة الرحم من أعظم أسباب دخول الجنة:

عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه أن أعرابيًّا عرض لرسول الله ﷺ وهو في سفر فأخذ بخطام ناقته أو بزمامها، ثم قال: يا رسول الله أخبرني بما يقربني من الجنة ويباعدني من النار، قال: فكف النبي ﷺ ثم نظر في أصحابه، ثم قال: **«لَقَدْ وُفِّقَ أولَقَدْ هُدِيَ»**، قال ﷺ: **«كَيْفَ قُلْتَ»**؟ قال: فأعادها؛ فقال النبي ﷺ: **«تَعْبُدُ الله لا تُشْرِكُ بهِ شَيْئًا، وَتُقِيمُ الصَّلاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، وَتَصِلُ الرَّحِمَ. دَعِ النَّاقَةَ»**، وفي رواية: **«وَتَصِلُ ذا رَحِمَكَ»**؛ فلما أدبر قال رسول الله ﷺ: **«إنْ تَمَسَّكَ بمَا أَمَرْتُهُ بهِ دَخَلَ الجَنَّةَ»**[(٥)].

---

(١) فتح الباري(١٠/ ٤٣٠).

(٢) صحيح: رواه البزار بإسناد لا بأس به، والحاكم وصححه الألباني.

(٣) متفق عليه.

(٤) متفق عليه.

(٥) متفق عليه.

وقال ﷺ: «أَطِبِ الكَلَامَ، وَأَفْشِ السَّلَامَ، وَصِلِ الأَرْحَامَ، وَصَلِّ بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ ثُمَّ ادْخُلِ الجَنَّةَ بِسَلَامٍ»(١).

٥ – صلة الأرحام طاعة لله ﷻ:

فهي وصل لما أمر الله به أن يوصل، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «لَيْسَ شَيْءٌ أُطِيعَ الله تَعَالَى فِيهِ أَعْجَلُ ثَوَابًا مِنْ صِلَةِ الرَّحِمِ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَعْجَلُ عِقَابًا مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةُ الرَّحِمِ»(٢).

وعن رجل من خثعم قال: أتيت النبي وهو في نفر من أصحابه؛ فقلت أنت الذي تزعم أنك رسول الله؟

قال ﷺ: «نَعَمْ».

قال: قلت: يا رسول الله: أي الأعمال أحب إلى الله؟

قال ﷺ: «الإِيمَانُ بالله».

قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟

قال: «ثُمَّ صِلَةُ الرَّحِمِ».

قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟

قال: «ثُمَّ الأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ وَالنَّهْيُ عَنِ المُنْكَرِ».

قال: قلت: يا رسول الله أي الأعمال أبغض إلى الله؟

قال ﷺ: «الإِشْرَاكُ بالله».

قال: قلت: يا رسول الله ثم مه؟

قال: «ثُمَّ قَطِيعَةُ الرَّحِمِ».

---

(١) رواه ابن حبان، وأبو نعيم في الحلية، وصححه الألباني في الإرواء (٧٧٧).

(٢) رواه البيهقي، وصححه الألباني في الصحيحة (٧٧٧).

قال: قلت: يا رسول الله، ثم مه؟

قال: «ثُمَّ الأَمْرُ بالمُنْكَرِ والنَّهْيُ عَنِ المَعْرُوفِ»[(١)].

٦ – صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة:

قال جعفر الصادق رَحِمَهُ اللَّهُ:

صلة الرحم تهون الحساب يوم القيامة، قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٢١][(٢)].

ولحديث الشفاعة المشهور الذي رواه مسلم قوله ﷺ: «وَتُرْسَلُ الأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيَّ الصِّرَاطِ».

قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ:

أما تقومان فبالتاء المثناة من فوق، وقد قدمنا بيان ذلك، وأن المؤنثتين الغائبتين تكونان بالمثناة من فوق، وأما جنبتا الصراط فبفتح الجيم والنون، ومعناهما جانباه، وأما إرسال الأمانة والرحم فهو لعظم أمرهما، وكثير موقعهما؛ فتصوران بشخصيتين على الصفة التي يريدها الله تعالى.

قال صاحب التحرير: في الكلام اختصار، والسامع فهم أنهما تقومان لتطالبا كل من يريد الجواز بحقهما[(٣)].

٧ – صلة الرحم وصية النبي ﷺ:

قال ﷺ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُمْ مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ؛ فَإِنَّ صِلَةَ الرَّحِمِ مَحَبَّةٌ فِى الأَهْلِ، مَثْرَاةٌ فِى المَالِ، مَنْسَأَةٌ فِى الأَثَرِ»[(٤)].

---

(١) رواه أبو يعلى بإسناد جيد، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٢٣).

(٢) التذكرة الحمدونية (١/ ١١١).

(٣) صحيح مسلم بشرح النووي (٣/ ٤٣٣).

(٤) صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٢٠).

وَعَنْ أَبي ذر ﷺقال: أوصاني خليلي ﷺبخصال من الخير: أوصاني ألا أنظر إلى من هو فوقي، وأن أنظر إلى من هو دوني، وأوصاني بحب المساكين والدُّنُوِّ منهم، وأوصاني أن أصل رحمي وإن أدبرت، وأوصاني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأوصاني أن أقول الحق وإن كان مُرًّا، وأن أكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله فإنها كنز من كنوز الجنة [(١)].

٨ – صلة الرحم أعظم من عتق الرقاب:

عن ميمونة ﵂أنها أعتقت وليدة لها، ولم تستأذن النبي فلما كان يومها الذي يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله أني أعتقت وليدتي. قال: **«أوَ فَعَلْتِ»**؟ قالت: نعم. قال: **«أمَا إنَّكِ لَوْ أعْطَيْتِهَا أخْوَالَكِ كَانَ أعْظَمَ لأَجْرِكِ»** [(٢)].

٩ – صلة الرحم أفضل الأعمال:

عن عقبة بن عامر ﷺقال: ثم لقيت رسول الله فأخذت بيده؛ فقلت: يا رسول الله أخبرني بفواضل الأعمال؛ فقال: **«يا عُقْبَةُ: صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ»** [(٣)].

١٠ – صلة الرحم من محاسن الدين الإسلامي:

فالإسلام دين الصلة، ودين البر والرحمة؛ فهو يأمر بالصلة، وينهى عن القطيعة؛ مما يجعل جماعة المسلمين مترابطة متآلفة متراحمة، بخلاف الأنظمة الأرضية التي لا ترعى ذلك الحق، ولا توليه اهتمامها [(٤)].

١١ – صلة الرحم سببٌ للثناء الحسن من أهل الإيمان:

فهي مكسبة للحمد، مجلبة للثناء الحسن، مدعاة للذكر الجميل، حتى إن أهل الجاهلية لَيَتَمَدَّحُونَ بها، ويثنون على أصحابها؛ فهذا الأعشى يمدح الأسود بن المنذر بن يزيد اللخمي فيقول:

---

(١)صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٢٠)

(٢)متفق عليه.

(٣)صحيح لغيره، صححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣٦)

(٤)قطيعة الرحم ص (٣٠)

عنده الحزم والتقى وأسى الصر ع وحمل لمضلع الأثقال
وصلات الرحم قد علم النا س وفك الأسرى من الأغلال[١]

١٢ - صلة الرحم دليل الرسوخ فى الفضيلة:

فهى دليل كرم النفس، وسعة الأفق، وطيب المنبت، وحسن الوفاء، وصدق العشرة.
ولهذا قيل: من لم يصلح لأهله لم يصلح لك، ومن لم يذب عنهم لم يذب عنك[٢].

١٣ - صلة الرحم سبب لرفعة الواصل:

فإن الإنسان إذا وصل أرحامه، وحرص على إعزازهم أكرمه أرحامه وأعزوه، وأجلوه وسودوه، وكانوا عونا له[٣]، قال الشاعر:

ولم أر عزًا لامرئ كعشيرة ولم ارذلا مثل نأى عن الأهل[٤]

١٤ - صلة الرحم عزة ومنعة وقوة:

فالأرحام المتواصلون المتوادون المتآلفون يعلو قدرهم، ويرتفع ذكرهم؛ فيكون لهم شأن، ويحسب لهم ألف حساب؛ فلا يتجرأ أحد أن يسومهم الذل، أو أن يمسهم بأذى؛ فيظلون بأعز جوار.

بخلاف ما إذا تقاطعوا؛ وتدابروا فإنهم يَذِلُّونَ وَيُسْتَرْذَلُونَ؛ فيلقون هوانًا بعد عز، وضعة بعد رفعة، ونزولا بعد شمم[٥].

❑★❑★❑

---

(١) ديوان الأعشى(١٦٩).
(٢) أدب الدنيا والدين(١٥٣).
(٣) الأخلاق الإسلامية(٢/ ٣٤).
(٤) عيون الأخبار(٣/ ٩١).
(٥) قطيعة الرحم(٣٣).

صلة الأرحام دعوة النبي ﷺ

روت أم سلمة زوج النبي ﷺ مادار في الحبشة من حوار بين النجاشي ملك الحبشة وجعفر بن أبي طالب ﷺ قال: ما هذا الدين الذى فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا ديني، ولا دين أحد من هذه الملل؟

فقال جعفر بن أبي طالب رضى الله عنه: أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية: نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتى الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف؛ فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولا منا، نعرف نسبه وصدقه، وأمانته وعفافه؛ فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام[1].

وأخرج البخاري ومسلم من حديث ابن عباس ﷺ أن أبا سفيان أخبره أن هرقل أرسل إليه؛ فقال: ما يأمر؟ يعنى النبي ﷺ فقال: يأمرنا بالصلاة والصدقة والعفاف والصلة.

وروى الإمام مسلم في صحيحه عن عمرو بن عبسة ﷺ أنه قال دخلت على النبي ﷺ بمكة – يعنى فى أول النبوة – فقلت له: ما أنت؟ قال: «**نبيٌّ**». فقلت: وما نبي، قال: «**أَرْسَلَنِي الله تَعَالَى**» فقلت: بأي شيء أرسلك؟ قال: «**أَرْسَلَنِي بصِلَةِ الأَرْحَامِ، وَكَسْرِ الأَوْثَانِ، وَأَنْ يُوَحَّدَ الله وَلا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ**».

---

(١) رواه ابن هشام (٢/ ٨٧، ٨٨)، ومن طريق أحمد (١٧٤٠)، وقال العلامة: أحمد شاكر رحمه الله إسناده صحيح، وصحح إسناده كذلك العلامة الألباني رحمه الله في تحقيق فقه السيرة (١٣٤).

بعث النبي ﷺ برسالة إلى ملك عمان جيفر وأخيه عبد ابن الجلندي، سأل عبدٌ رسول النبي ﷺ عمرًا بن العاص ﷺ؛ فقال له: فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه، قلت (عمرو بن العاص ﷺ):

يأمر بطاعة الله ﷻ، وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم، وينهى عن الظلم والعدوان، وعن الزنا والخمر، وعن عبادة الحجر والوثن والصليب[1].

وقال عبد الله بن سلام ﷺ لما قدم النبي ﷺ المدينة جئت فلما تبينت وجهه عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب؛ فكان أول ما قال: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَفْشُوا السَّلامَ، وَأَطْعِمُوا الطَّعَامَ، وَصِلُوا الأَرْحَامَ، وَصَلُّوا بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ بِسَلامٍ»**[2].



(١) زاد المعاد (٣/ ٦٢).

(٢) رواه الترمذي (٢٤٨٥) صفة القيامة، وابن ماجه (٣٣١٣) الأطعمة، مشكاة المصابيح (٥/ ١٦٨).

صلة الرحم من أخلاق النبى ﷺ

لقد كان النبي ﷺ من أحرص الناس على صلة الرحم، وبه كملت القدوة، وتمت الأسوة.

فهذه خديجة رضي الله عنها تقول للنبي ﷺ: والله ما يخزيك الله أبدًا: إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق.

وذلك في بدء نزول الوحي على النبي ﷺ.

ونزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] فدعا النبي عشيرته بني هاشم بعد نزول هذه الآية؛ فجاءوا ومعهم نفر من بني المطلب بن عبد مناف؛ فكانوا نحو خمسة وأربعين رجلا، فلما أراد أن يتكلم رسول الله ﷺ بادره أبو لهب وقال: هؤلاء عمومتك، وبنو عمك؛ فتكلم ودع الصباة، واعلم أنه ليس لقومك بالعرب قاطبة طاقة، وإنا أحق من أخذك، فحسبك بنو أبيك، وإن أقمت على ما أنت عليه فهو أيسر عليهم من أن يثب بك بطون قريش، وتمدهم العرب، فما رأيت أحدًا جاء على بني أبيه بشر مما جئت به.

فسكت رسول الله ﷺ ولم يتكلم فى ذلك المجلس.

ثم دعاهم ثانية، وقال: **«الحَمْدُ لله، أَحْمَدُهُ وَأُومِنُ بِهِ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا الله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ»**.

ثُمَّ قال: **«إِنَّ الرَّائِدَ لا يَكْذِبُ أَهْلَهُ وَالله الذِى لا إِلَهَ إلا هُوَ إِنِّى رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ خَاصَّةً، وَإِلَى النَّاسِ عَامَّةً، وَالله لَتَمُوتُنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثُنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتُحَاسَبُنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَإِنَّها لَجَنَّةٌ أَبَدًا، أَوِ النَّارُ أَبَدًا»**.

فقال أبو طالب: ما أحب إلينا معاونتك، وأقبلنا لنصيحتك، وأشد تصديقًا لحديثك، وهؤلاء بنو أبيك مجتمعون، إنما أنا أحدهم، غير أنى أسرعهم؛ فو الله لا أزال أحوطك وأمنعك، غير أن نفسى لاتطاوعني على فراق دين عبد المطلب.

فقال أبو لهب: هذه والله السوأة، خذوا على يديه قبل أن يأخذ غيركم.

فقال أبو طالب: والله لنمنعنه ما بقينا[1].

وعلى جبل الصفا بعد أن تأكد النبى ﷺ من تعهد أبى طالب بحمايته وهو يبلغ عن ربه صعد النبى ﷺ ذات يوم على الصفا؛ فعلا أعلاها حجرًا، ثم هتف: «يَا صَبَاحَاهُ»، وكانت كلمة إنذار تخبر عن هجوم جيش، أو وقوع أمر عظيم، ثم جعل ينادى بطون قريش، ويدعوهم قبائل قبائل: «يَابَنِى فِهْرٍ، يَابَنِى عَدِيٍّ، يَابَنِى فُلانٍ، يَابَنِى عَبْدِ مَنَافٍ، يَابَنِى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ» فلما سمعوا قالوا: من هذا الذى يهتف؟!

قالوا: محمد. فأسرع الناس إليه، حتى إن الرجل إذا لم يستطعْ أن يخرج إليه أرسل رسولا لينظر ما هو؛ فجاء أبو لهب وقريش؛ فلما اجتمعوا قال ﷺ: «أَرَأَيْتَكُمْ لَوْ أَخْبَرْتُكُمْ أَنَّ خَيْلا بالوَادِى بسَفْحِ هَذا الجَبَلِ تُرِيدُ أَنْ تُغِيرَعَلَيْكُمْ؛ أَكُنْتُمْ مُصَدِّقِيَّ»؟

قالوا: نعم، ماجربنا عليك كذبًا، ما جربنا عليك إلا صدقًا.

قال: «فَإِنِّى نذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَىَ عَذَابٌ شَدِيدٌ، إِنَّمَا مَثَلِى وَمَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ رَأَى العَدُوَّ فَانطَلَقَ يربَأ أَهْلَهُ» - أى يتطلع، وينظر لهم من مكان مرتفع لئلا يدهمهم العدو - «فَخَشِىَ أَنْ يَسْبِقُوهُ فَجَعَلَ يُنَادِى يَا صَبَاحَاهُ».

ثم دعاهم إلى الحق، وأنذرهم من عذاب الله، فخص وعم؛ فقال ﷺ:

«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ اشْتَرُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ الله، أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله ضَرًّا وَلا نَفْعًا، ولا أُغْنِى عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا.

يَا بَنِي كَعْبِ بْنِ لُؤَىٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا.

---

(١) الكامل لابن الأثير (١/ ٨٤، ٨٥).

يَا بَنِي مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا مَعْشَرَ بَنِي قُصَيٍّ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله ضَرًّا وَلا نفعًا، ولا أغنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا.

يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ مَنافٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله ضَرًّا وَلا نفعًا، ولا أغنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا.

يَا بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا بَنِي هَاشِمٍ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّارِ.

يَا مَعْشَرَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلَبِ أَنْقِذُوا أَنْفُسَكُمْ مِنَ النَّار فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نفعًا، ولا أغنِي عَنْكُمْ مِنَ الله شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي ما شِئْتُمْ، لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ الله شيئًا.

يا عَبَّاسُ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ لا أُغنِي عَنْكَ مِنَ الله شَيْئًا.

يَا صَفِيَّةُ بِنْتَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَمَّةَ رَسُولِ الله لا أُغنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا.

يَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ رَسُول الله سَلِينِي مَا شِئْتِ مِنْ مَالِي، أَنْقِذِي نَفْسَكِ مِنَ النَّارِ؛ فَإِنِّي لا أَمْلِكُ لَكِ ضَرًّا وَلا نفعًا، ولا أُغنِي عَنْكِ مِنَ الله شَيْئًا.

غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا ببلالِهَا»: أَيْ سأصلها حسب حقها.

ولما تم هذا الإنذار انفض الناس وتفرقوا، ولايذكر عنهم أية ردة فعل سوى أن أبا لهب واجه النبي ﷺ بالسوء، وقال: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟

فنزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١] [١].

---

(١) صحيح البخاري حديث (٢٧٥٣، ٣٥٢٥، ٣٥٢٧، ٤٧٧١)، الفتح: (٥/ ٤٤٦، ٦/ ٦٣٧، ٨/ ٣٦٠)، صحيح مسلم (١/ ١١٤)، وجامع الترمذي، تفسير سورة الشعراء: (٥/ ٣١٦، ٣١٧). حديث (٣١٨٤، ٣١٨٦)، وغيرهم.

ولقد كان النبي ﷺ من أحرص الناس على أن يسلم عمه أبوطالب؛ وذلك أن أبا طالب لما حضرته الوفاة دخل عليه النبي ﷺ وعنده أبو جهل فقال: «**أَيْ عَمُّ، قُلْ لا إِلَهَ إلا الله كَلِمَةً أُحَاجُّ لَكَ بهَا عِنْدَ الله**».

فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية: يا أبا طالب ترغب عن ملة عبد المطلب؟!

فلم يزالا يكلماه حتى قال آخر شيء كلمهم به: على ملة عبد المطلب؛ فقال النبي ﷺ: «**لأَستَغْفِرَنَّ لَكَ مَا لم أُنْهَ عَنْ ذلِكَ**»؛ فنزلت: ﴿ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴾ [التوبة: ١١٣] ونزلت: ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص: ٥٦][1].

وعن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال للنبي ﷺ: ما أغنيت عن عمك؛ فإنه كان يحوطك، ويغضب لك؟

قال: «**هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ، وَلَوْلا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسفَلِ مَنَ النَّارِ**»[2].

وخرج النبي ﷺ إلى فتح مكة فلقيه في الطريق ابن عمه أبو سفيان بن الحارث وعبد الله بن أبي أمية ابن عمته؛ فأعرض عنهما لما كان يلقاه منهما من شدة الأذى والهجو؛ فقالت له أم سلمة ﵂: لا يكن ابن عمك وابن عمتك أشقى الناس بك.

وقال علي لأبي سفيان ﵁ فيما حكاه أبو عمر: ائت رسول الله ﷺ من قبل وجهه فقل له ما قال إخوة يوسف ليوسف ﵇: ﴿ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴾ [يوسف: ٩١].

فإنه لا يرضى أن يكون أحد أحسن منه قولا؛ ففعل ذلك أبو سفيان ﵁ فقال رسول الله ﷺ: ﴿ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٩٢][3]

---

(١) رواه مسلم (١/ ٣١٤) الإيمان.

(٢) متفق عليه.

(٣) زاد المعاد (٢/ ٢٣٢).

وفتح النبى ﷺ مكة وقدار تعدت فرائص كبار قريش فوقغ النبى ﷺ خطيبًا فيهم:

«**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ إن الله قَدْ أذهَبَ عَنكُمْ نَخْوَةَ الجَاهِلِيَّةِ وَتَعْظِيمِهَا بالآبَاءِ، النَّاسُ مِنْ آدَمَ، وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ**» ثم تلا قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات: ١٣].

ثم قال: «**يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ: مَا تَرَوْنَ أني فَاعِلٌ بكُمْ**»

قالوا: خيرًا: أخ كريم، وابن اخ كريم.

قال: «**اذهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ**».

فعفا عنهم بعد أن أمكنه الله تعالى منهم؛ فضرب بذلك المثل فى العفو والصفح عن الجناة بعد القدرة عليهم، والتمكن منهم[1].

ويعطى أرحامه قدرهم: تجيء إليه ابنة عمه أم هانئ بنت أبي طالب رضي الله عنها فتقول:

لما نزل رسول الله ﷺ بأعلى مكة فر إلَيَّ رجلان من أحمائى من بنى مخزوم، وكانت أم هانئ عند هبيرة بن أبي وهب المخزومى (أي زوجته).

قالت: فدخل عَلَيَّ أخى عَلِيٌّ بن أبي طالب، وقال: والله لأقتلنهما. فأغلقت عليهما باب بيتى، ثم جئت رسول الله ﷺ وهو بأعلى مكة؛ فوجدته يغتسل من جفنة[2]، وإن فيها لأثر العجين، وفاطمة بنته تستره بثوبه؛ فلما اغتسل أخذ ثوبه فتوشح به، ثم صلى ثمانى ركعات من الضحى، (والصحيح أنها صلاة الفتح): ثم انصرف إلي فقال: «**مَرْحَبًا وَأَهْلا يَا أُمَّ هَانِئٍ، مَا جَاءَ بكِ**» ؟

فأخبرته خبر الرجلين وخبر عليٌّ فقال: «**أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وأَمَّنَّا مَنْ أَمَّنْتِ فلا يَقْتُلْهُمَا**»[3].

---

(١) هذا الحبيب يا محب(٣١١).

(٢) الجفنة: إناء كبير يوضع فيه الطعام والجمع: جفان وجفنات (لسان العرب – جفن).

(٣) السابق:(٣١٣).

ويعود النبي ﷺ إلى المدينة، ثم إلى مكة مرة أخرى ليحج حجة الوداع لأمته ليبين لهم دعائم هذا الدين، ويبدأ النبي ﷺ برحمه فيقول:

«**إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الحَارِثِ**» (ابن ابن عمه الحارث: كان مسترضعًا في بني سعد فقتلته هذيل) «**وَرِبَا الجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلُ رِبًا أَضَعُ رِبَانَا: رِبَا العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ فَإِنهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ**»[١].

وعن أنس رضي الله عنه كان النبي ﷺ إذا أتي بهدية قال: «**اذهَبُوا بهَا إِلَى بَيْتِ فُلانةٍ؛ فَإِنهَا كَانتْ صَدِيقَةُ خَدِيجَةَ، إِنهَا كَانتْ تُحِبُّ خَدِيجَةَ**»[٢].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: ما غرت من امرأة مثل ما غرت من خديجة لما كنت أسمعه يذكرها، وإن كان ليذبح الشاة فيهديها إلى خلائلها[٣][٤].

واستأذنت عليه أختها فارتاح إليها[٥].

وقال أبو الطفيل: رأيت النبي ﷺ وأنا غلام إذ أقبلت امرأة حتى دنت منه؛ فبسط لها رداءه؛ فجلست عليه؛ فقلت: من هذه؟! قالوا: أمه التي أرضعته.

وعن عمر بن السائب أن رسول الله ﷺ كان جالسًا يومًا فأقبل أبوه من الرضاعة؛ فوضع له ثوبه؛ فقعد عليه، ثم أمه؛ فوضع لها شق ثوبه من جانبه الآخر؛ فجلست عليه، ثم أقبل أخوه؛ فقام رسول الله ﷺ فأجلسه بين يديه.

---

(١) رواه مسلم (٨/ ١٧٢ – ١٩٤).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٢٣٢)، والحاكم في المستدرك في البر والصلة – باب صلة النبي ﷺ إلى صدائق خديجة (٤/ ١٧٥) وابن حبان في صحيحه (٧٠٠٧).

(٣) خلائلها: أي أهل ودها وصداقتها.

(٤) متفق عليه.

(٥) رواه مسلم في فضائل الصحابة (٢٤٣٧).

ولما جيء بأخته من الرضاعة الشيماء فى سبايا هوازن، وتعرفت له بسط لها رداءه، وقال لها: «إِنْ أَحْبَبْتِ أَقَمْتِ عِنْدِى مُكَرَّمَةً مُحَبَّةً، أَوْ مَتَّعْتُكِ وَرَجَعْتِ إِلَى قَوْمِكِ»[١]؛ فاختارت قومها؛ فمتعها،وكان ﷺ يبعث إلى ثويبة مولاة أبي لهب مرضعته بصلة أو كسوة؛ فلما ماتت سأل: «مَنْ بَقِىَ مِنْ قَرَابَتِهَا»؟ فقيل لا أحد، ولو قيل: بقى فلان أو فلانة لوصلهما قيامًا بواجب صلة الأرحام ولو بعدوا، ولو كانوا لمجرد رضاع بلا أرحام؛ فصلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا.

وحين أسلمت درة بنت أبي لهب وهاجرت، وكانت عند الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب فولدت له عقبه والوليد وأبا مسلم، ولما كانت بالمدينة أكثر الناس فى أبويها[٢]؛ فجاءت رسول الله ﷺ فقالت: يا رسول الله ما ولد الكفار غيرى؟

فقال لها ﷺ: «وَمَا ذاكَ»؟!

قالت: قد آذانى أهل المدينة فى أبوى

فقال ﷺ: «إِذا صَلَّيْتِ الظُّهْرَ فَصَلِّى حَيْثُ أَرَى».

فصلى النبى صلى ﷺ صلاة الظهر، ثم التفت إليها؛ فأقبل على الناس؛ فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَكُمْ نَسَبٌ، وَلَيْسَ لِى نَسَبٌ»؟

فوثب عمربن الخطاب فقال: أغضب الله من أغضبك.

فقال ﷺ: «هَذِهِ بِنْتُ عَمِّى؛ فَلا يَقُولُ لَهَا أَحَدٌ إِلا خَيْرًا»[٣].

□★□★□

(١) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين (٦/ ٢٢٦).

(٢) أي في شتم أبويها.

(٣) رواه الطبراني، وفيه عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي حسين، وهو مرسل، ورجاله رجال الصحيح: مجمع الزوائد (٩/ ٢٢٥٨).

صلة الأرحام من مكارم الأخلاق

عُرِفَ العربُ فى الجاهلية بأنهم كانت فيهم دنايا ورذائل، وأمور ينكرها العقل السليم، ويأباها الوجدان، ولكن كانت فيهم من الأخلاق الفاضلة المحمودة ما يروع الإنسان، ويفضى به إلى الدهشة والعجب؛ فمن تلك الأخلاق صلة الرحم:

قال الشيخ صفى الرحمن المباركفورى:

أما معامله الرجل مع أخيه، وأبناء عمه وعشيرته كانت موطدة قوية؛ فقد كانوا يحيون للعصبية القبلية، ويموتون لها، وكانت روح الاجتماع سائدة بين القبيلة الواحدة، تزيدها العصبية، وكان أساس النظام الاجتماعى هو العصبية الجنسية والرحم، وكانوا يسيرون على المثل السائر: انصر أخاك ظالما أو مظلوما، على المعنى الحقيقي، من غير التعديل الذى جاء به الإسلام: من أن نصر الظالم كفه عن ظلمه[١].

وحين مات جد النبى ﷺ عبد المطلب كفله عمه أبوطالب، وضمه إلى ولده، وقدمه عليهم، واختصه بفضل احترام وتقدير، وظل أبو طالب يساند النبى ﷺ حتى وفاته.

وهذا حكيم بن حزام ﷺ قبل أن يُسْلِمَ حين حوصر النبى ﷺ فى شعب أبي طالب يحمل قمحًا إلى عمته خديجة ﵂.

ولقد انتهى حصار النبى ﷺ وصحبه الكرام رضوان الله عليهم فى شعب أبي طالب بداية بالتذكير بصلة الرحم، وكان القائم بذلك هشام بن عمرو من بني عامر بن لؤى[٢] - وكان يصل بني هاشم فى الشعب مستخفيًا بالليل بالطعام - فإنه ذهب إلى زهير بن أبي أمية المخزومى، وكانت أمه عاتكة بنت عبد المطلب، وقال يا زهير: أرضيت أن تاكل الطعام، وتشرب الشراب، وأخوالك بحيث تعلم.

---

(١) الرحيق المختوم (٥٧).

(٢) قال ابن إسحاق: إنه كان ابن أخي نضلة بن هشام بن عبد مناف لأمه؛ فكان هشام لبني هاشم واصلا.

فقال: ويحك؛ فما أصنع وأنا رجل واحد، أما والله لو كان معى رجل آخر لقمت فى نقضها.

قال: قد وجدت رجلا.

قال: فمن هو؟!

قال: أنا.

قال له زهير: ابغنا رجلا ثالثا.

فذهب إلى المطعم بن عدى فذكره أرحام بني هاشم، وبني عبد المطلب بن عبد مناف، ولامه على موافقته لقريش على هذا الظلم.

فقال المطعم: ويحك؛ ماذا أصنع، إنما أنا رجل واحد؟

قال: قد وجدت ثانيًا.

قال المطعم: من هو؟

قال: أنا.

قال المطعم: ابغنا ثالثا.

قال: قد فعلت.

قال المطعم: من هو؟

قال: زهير بن أبي أمية.

قال المطعم: ابغنا رابعًا.

فذهب إلى أبي البخترى بن هشام؛ فقال: له نحوًا مما قال: للمطعم.

فقال: وهل من أحد يعين على هذا؟

قال: نعم

قال: من هو؟

قال: زهير بن أبي أمية، والمطعم بن عدى، وأنا معك.

قال: ابغنا خامسًا؛ فذهب الى زمعة بن الأسود بن المطلب بن أسد؛ فكلمه، وذكر له قرابتهم وحقهم.

فقال له: وهل على هذا الأمر الذى تدعونى إليه من أحد.

قال: نعم، ثم سمى له القوم؛ فاجتمعوا عند الحجون، وتعاقدوا على القيام بنقض الصحيفة(١).

وهذا أبو بكر ﷺ حين استشاره النبى ﷺ فى أسارى بدر قال: يا رسول الله هؤلاء بنو العم، والعشيرة والإخوان، وإنى أرى تأخذ منهم الفدية؛ فيكون ما أخذناه قوة لنا على الكفار، وعسى أن يهديهم الله فيكونوا لنا عضدًا(٢).

وهذه قريش بعد صلح الحديبية بعد الشروط التى عاهدوا عليها النبى ﷺ، وكان منها: من أتى محمد من قريش من غير إذن وليه - أى هاربًا منهم ردوه عليهم؛ فرد النبى ﷺ أبا بصير، وكان رجلا من ثقيف، حليفًا لقريش؛ فهرب حتى أتى ساحل البحر، ولحق به جُنْدُلٌ بن سهيل، حتى اجتمعت جماعة من المسلمين؛ فما سمعت بعير لقريش إلا اعترضوها؛ فقتلوهم، وأخذوا أموالهم؛ فأرسلت قريش إلى النبى ﷺ تناشده الله والرحم لما أرسل؛ فمن أتاه فهو آمن؛ فأرسل النبى ﷺ إليهم فقدموا عليه المدينة(٣).

لهذا قال: عمر ﷺ تعلموا العربية فإنها تزيد فى المروءة، وتعلموا النسب فرب رحم مجهوله قد وُصِلَتْ بعِرْفانِ نسبها.

ومن كلام على بن طالب ﷺ:

أكرم عشيرتك فانهم جناحك الذى به تطير؛ فإنك بهم تصول، وبهم تطول، وهم العدة عند الشدة، أكرم كريمهم، وعُد سقيمهم، وأشركهم فى أموالك، ويسر عن معسرهم، وكان يقال: إذا كان لك قريب فلم تمشِ إليه برجلك، ولم تعطه من مالك فقد قطعته.

---

(١) سيرة ابن هشام (٢/ ١٨).

(٢) الرحيق المختوم (٢٤٨).

(٣) السابق (٣٥٦).

ويقال: حق الأقارب إعظام الأصغرِ الأكبرَ، وحنو الأكبر على الأصغر.

قال بعضهم:

وإذا رُزِقْتَ من النوافل ثروة فامنح عشيرتك الأداني فضلها

واعلم بأنك لاتُسَوَّدُ فيهمُ حتى تُرَى دَمْثَ الخلائق سهلها[1]

وقالت عائشة ﵂:

خلال المكارم عشر تكون فى الرجل، ولاتكون فى أبيه، ولا فى ابنه، وقد تكون فى العبد، ولاتكون فى سيده، يقسمها الله لمن أحب:

صِدق الحديث، ومداراة الناس، وصلة الرحم، وحفظ الأمانة، والتذمم للجار، وإعطاء السائل، والمكافأة بالصنائع، وقرى الضيف، والوفاء بالعهد، ورأسهن الحياء.

ومن كلام سفيان الثورى ﵀:

صل من قطعك، وصل رحمك، وتجاوز عمن ظلمك تكن رفيق الأنبياء والشهداء.

قيل للإمام أحمد بن حنبل ﵀: الرجل يكون له القرابة من النساء فلا يقومون بين يديه بأى شيء يجب عليه من برهم، وفى كم ينبغى أن يأتيهم؟

قال: اللطف والسلام[2].

❒★❒★❒

(١) المستطرف (٣٣٥).

(٢) الآداب الشرعية (١/ ٤٥٢).

مثل عليا في صلة الرحم يوسف عليه السلام

الكريم ابن الكريم قال تعالى في قصته: ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴾ [يوسف: ٧] ينتقل عليه السلام من حال إلى حال، ومن محنة إلى محنة، بعد أن حقد عليه إخوته، وقالوا بعضهم لبعض: ﴿ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ ٱقْتُلُوا۟ يُوسُفَ أَوِ ٱطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ قَوْمًا صَٰلِحِينَ ﴾ [يوسف: ٨، ٩].

فقال أحدهم وكان رفيقًا به:

﴿لَا تَقْتُلُوا۟ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴾

[يوسف: ١٠]

ونفذوا ما ارادوا، وانتقل يوسف عليه السلام إلى مصر في دار عزيز مصر، وهناك وقعت له فتنة امرأة العزيز، ونجى منها، ثم سجن، ثم مكن له في الأرض، وصار على خزائنها، وجاء إليه إخوته بعد أن دخلت سنوات القحط، وأصاب أرض كنعان وبلاد الشام من نقص في القمح والثمرات ما أهلك العباد؛ ﴿فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُۥ مُنكِرُونَ ﴾ [يوسف: ٥٨] أعطاهم ما أرادوا، وطلب منهم أن يحضروا له أخاهم من أبيهم، وهددهم: ﴿ فَإِن لَّمْ تَأْتُونِى بِهِۦ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِندِى وَلَا تَقْرَبُونِ ﴾ [يوسف: ٦٠].

ورجعوا إلى أبيهم فأخبروه بما حدث، وسألوه أن يرسل معهم أخاهم؛ فقال لهم أبوهم في مرارة: ﴿ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ ۖ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾ [يوسف: ٦٤].

وعادوا إلى مصر ومعهم أخوهم من أبيهم: ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا۟ عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ أَخَاهُ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَنَا۠ أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [يوسف: ٦٤].

ثم احتال عليه السلام على إخوته من أجل أن يستخلص أخاه من بينهم:

﴿فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا ٱلْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَـٰرِقُونَ ۝٧٠ قَالُوا۟ وَأَقْبَلُوا۟ عَلَيْهِم مَّاذَا تَفْقِدُونَ ۝٧١ قَالُوا۟ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٠ - ٧٢].

ونجحت الحيلة بعد أن أخرجوا كل الذي كان قد بقيَ صدورهم: ﴿قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ ۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ ۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا ۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف: ٧٧].

ورجعوا إلى أبيهم وأخبروه بما حدث؛ فتذكر يوسف، ثم عادوا إلى مصر، ودخلوا على يوسف عليه السلام فـ: ﴿قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَـٰهِلُونَ ۝٨٩ قَالُوٓا۟ أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ ۖ قَالَ أَنَا۠ يُوسُفُ وَهَـٰذَآ أَخِى ۖ قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ ۖ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٩٠ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ۝٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٩٠- ٩٢]

لقد كان فى مقدرة يوسف عليه السلام أن يقتلهم جميعًا بمجرد دخولهم مصر، ولكنه العفو والعطاء والبذل لهم رغم ما فعلوه، لقد ندم إخوته على ما فعلوا فقالوا: ﴿قَالُوا۟ يَـٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَـٰطِـِٔينَ ۝٩٧ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [يوسف: ٧٧]

حقا إنها عبرة وعظة بالغة: ﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ﴾ [يوسف: ١١١]

عثمان بن عفان رضي الله عنه ذو النورين، ثالث الراشدين، الحيي الكريم:

وصفه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال:

كان عثمان رضي الله عنه خيرنا، وأوصلنا للرحم، وأشدنا حياء، وأحسننا طهورًا، وأتقانا للرب[1].

---

(١) البداية والنهاية (٧/ ٢٠٣).

على بن أبي طالب رضي الله عنه:

وفى وصيته رضي الله عنه:

انظروا إلى ذوى أرحامكم: فصلوا ليهون الله عليكم الحساب... وعليكم بالتواصل والتباذل، وإياكم والتبادر والتقاطع والتفرق[١].

وقال رضي الله عنه: السعيد من وُعِظَ بغيره، وليس فى قطيعة الرحم نماء، ولا مع الجور غناء.

وقال رضي الله عنه: أيها الناس انه لا يستغنى الرجل - وإن كان ذا مال - عن عشيرته ودفاعهم عنه: بأيديهم، وألسنتهم، وهم أعظم الناس حيطة من ورائه، وألمهم لشعثه، وأعطفهم عليه عند نازلة إن نزلت به.

ألا ليعدلن أحدكم عن القرابه يرى بها الخصاصة لأن يسدها بالذى لايزيده إن أمسكه، ولا ينقصه إن أهلكه، ومن يقبض يده عن عشيرته؛ فإنما يقبض عنهم يدًا واحدة، وتقبض منهم عنه أيد كثيرة، ومن لم يلن جانبه لم يستدم من قومه المودة[٢].

وقال أبو هريرة رضي الله عنه:

إذا رأيتم ستًّا فإن كانت نفس أحدكم بيده فليرسلها؛ فلذلك أتمنى الموت أخاف أن تدركنى: إذا أُمِّرَتِ السفهاء، وبيع الحكم، وتُهُوون بالدم، وقطعت الأرحام، وقطعت الجلاوزة[٣]، ونشأ نشءٌ يتخذون القرآن مزامير[٤].

أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

أخبرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن الزبير (ابن اختها أسماء رضي الله عنها)

قال فى بيع، أو عطاء أعطته عائشة رضي الله عنها : والله لتنتهين عائشة، أو لأحجرن عليها.

---

(١) البداية والنهاية(٧/ ٣٤٢، ٣٤٣) .

(٢) مواعظ الصحابة ووصاياهم ط. التوفيقية.

(٣) الجلاوزة جمع جلواز؛ وهو السير الذي يشد في طرف السوط، أو هو الشرطي (لسان العرب - جلز)، والمعنى أصبحت الشرطة للمعارف وأصحاب الواسطة.

(٤) الحلية(١/ ٣٨٤) .

فقالت عائشة ﵂: أهو قال هذا؟

قالوا نعم.

قالت ﵂: لله علي نذر ألا أكلم ابن الزبير حتى يفرق الموت بيني وبينه.

فطالت هجرتها إياه؛ فنقصه الله بذلك فى أمره كله؛ فاستشفع بكل أحد يرى أنها تقبل عليه فلم تقبل، وأبت أن تكلمه.

وقالت ﵂: لا والله، لا أشفع فيه أبدًا، ولا أحنث في نذري.

فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن مخرمة وعبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث، وهما من بني زهرة.

وقال لهما: أنشدكما بالله لما أدخلتمانى على عائشة؛ فإنها لا يحل لها أن تنذر قطعيتي؛ فأقبل به المسور وعبد الرحمن مشتملين بأرديتهما حتى استأذنا على عائشة؛ فقالا: السلام عليك ورحمة الله وبركاته؛ أندخل؟!

فقالت عائشة ﵂: ادخلوا

قال: كلنا.

فقالت ﵂: نعم ادخلوا.

ولا تعلم أن معهما ابن الزبير؛ فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب فاعتنق عائشة وناشدها الله والرحم، وبكى، وبكت إليه، وطفق ينا شدها ويبكي، وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها إلا ما كلمته، وقبلت منه.

ويقولان إن النبى ﷺ ينهى عما قد علمت من الهجرة؛ فإنه لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال[1].

---

(١) رواه البخاري (٦٠٧٣)

فلما أكثروا على عائشة رضي الله عنها من التذكير: أي بما جاء فى فضل صلة الرحم، والعفو وكظم الغيظ والتحريج طفقت تذكرهما وتبكى، وتقول: إنى نذرت، والنذر شديد؛ فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير، وأعتقت في نذرها ذلك أربعين رقبة، وكانت تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل دموعها خمارها.

أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث رضي الله عنها:

قالت عنها عائشة رضي الله عنها: إنها - يعنى ميمونة - كانت من أتقانا لله، وأوصلنا للرحم[1].

معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه:

جاء رجل إليه فقال سألتك بالرحم التى بينى وبينك حاجتى.

فقال معاوية رضي الله عنه: أمن قريش أنت؟

قال: لا.

فقال للرجل: فأي رحم بينى وبينك؟

فقال الرجل: رحم آدم عليه السلام

فقال معاوية رضي الله عنه: رحم مجفوة، والله لأكونن أول من وصلها، ثم قضى حاجته[2].

وقال ابن كثير رحمه الله: لما احْتُضِرَ مُعَاوِيَةُ دعا بيزيد فأوصاه بما أوصاه؛ فقال له: انظر الحسين بن على بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ؛ فإنه أحب الناس إلى الناس؛ فصل رحمه، وارفق به يصلح لك أمره

نائلة بنت القرافصة رضي الله عنها:

زوجة ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه نالها أذى من مروان بن الحكم فى أبيها في حضرة عثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فأجابته قائلة: أما والله لولا أنه عمه، وأنه يناله غمه أخبرتك عنه ما لن أكذب عليه.

(١) الطبقات لابن سعد(٨/ ١٣٨).

(٢) من أقوال الحكماء(١١٥).

قيس بن عاصم:

قال الأحنف بن قيس: ما تعلمت الحلم إلا من قيس بن عاصم المنقري؛ لأنه قتل ابن أخ له بعض بنيه؛ فأُتِيَ بالقاتل يُقَاد إليه؛ فقال: ذعرتم الفتى، ثم أقبل على الفتى فقال: بئس ما فعلت: نقصت عددك، وأوهنت عضدك، وأشمت عدوك، وأسأت بقومك، وأثمت بربك، وقطعت رحمك، ورميت نفسك بسهمك، خلوا سبيله، واحملوا إلى أم المقتول ديته؛ فإنها غريبة، ثم انصرف القاتل

وما حل قيس حبوته، ولا تغير وجهه[١] .

علي بن الحسن:

كان على بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ يأتى ابن عم له بالليل متنكرًا؛ فيناوله شيئا من الدنانير فيقول: لكن على بن الحسين لايصلنى، لا جزاه الله خيرًا؛ فيستمع ذلك ويتحمله، ويصبر عليه، ولا يعرفه نفسه؛ فلما مات على بن الحسين رَحِمَهُ اللَّهُ فقدها؛ فحينئذٍ علم أنه هو؛ فجاء إلى قبره، وبكى عليه[٢] .

❑★❑★❑

(١) البداية والنهاية (٨/ ١٦١).

(٢) ألف قصة وقصة (٣/ ٣٥) ط. التوفيقية.

صور نادرة في صلة الرحم

يقول الشاعر محمد بن عبد الله الأزدي رحمه الله:

لا أدفع ابن العم يمشي على شفا ... وإن بلغتني من أذاه الجنادع[١]

ولكن أواسيه وأنسى ذنوبه ... لترجعه يومًا إليَّ الرواجع

وأفرشه مالي وأحفظ غيبه ... وأرعاه غيبا بالذي هو سامع

وحسبك من جهل وسوء صنيعه ... معاداة ذي القربى وإن قيل قاطع

فالبس تراك الأهل تسلم صدورهم ... فلا بد يوما أن تروع الروائع[٢]

هذا الشاعر رسم صورًا متعددة للتسامح مع القريب؛ فهو لا ينتهز فرصة ينتقم منه حين يراه على شفا جرف هار؛ فيدفعه إلى الهوة جزاء ما أتاه من شر، ولكنه ينسى ذنوبه كلها، ويواسيه عندما تلم به مصيبة، وكأنه لم يأت منه أذى، وهذا أقرب إلى أن يرجعه إلى حظيرة الحب والوئام.

هذه صورة، وصورة أخرى: وهي أن يضع ماله بين يديه يأخذ منه ما يشاء، ويحفظ غيبته؛ فلا يقول عنه في غيابه إلا ما يقوله من خير في حضوره، والجهل كل الجهل - في نظر هذا الشاعر - أن يعادي المرء قريبًا من أقربائه حتى لو كان قاطعا لحبل الرحم، وصارمًا لرباط القرابة؛ فهذا كله جهل، وسوء صنيع.

والشاعر في نهاية قوله يحث المرء أن يكسو أقرباءه بلباس زاه ضاف من ثرائه الذي حباه الله به، وبهذا تسلم له صدورهم، وينجو من غلواء سخطهم، أو حقدهم؛ فقد يحتاج إليهم في وقت شدة، وإن لم يحتج فإنه لن يندم على ما فعل.

هذا قليل مما قيل في التسامح مع القريب، وحفظ حبال القرابة عن القطع، أو الصرم، أو البكى[٣].

---

(١) الجنادع: جمع جندع وجندعة: دواب أصغر من القردان تكون في جحور اليرابيع، تخرج إذا دنا الحافر من قعر الجحر؛ فيقال بدت جنادع الضب، ويضرب مثلا للذي يأتي شره قبل أن يرى خيره.

(٢) التذكرة لابن حمدون (١/ ٣٧٤).

(٣) المجلة العربية (٩٦/ ٦٥).

من بر الوالدين صلة الأرحام

عن ابن عمر ﷺ ما أن النبى ﷺ قال: «**إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ وُدَّ أَبِيهِ**»[١].

وقال عمر بن الخطاب ﷺ: من أحب أن يصل أباه فى قبره فليصل إخوان أبيه بعده.

وعن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر ﷺ أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر، وحمله على حمار كان يركبه، وأعطاه عمامة كانت على رأسه، قال ابن دينار: فقلنا له: أصلحك الله، إنهم الأعراب، وهم يرضون باليسير. فقال عبد الله بن عمر: إن أبا هذا كان وُدًّا لعمر بن الخطاب، وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إِنَّ أَبَرَّ البِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ**».

الروايات كلها لمسلم

فهذا لأصدقاء الوالد؛ فكيف بالأرحام، وقد قال النبى ﷺ: «**الخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الأُمِّ**»[٢]

وعن سعيد قال كنت عند ابن عباس ﷺ فأتاه رجل فسأله: من أنت؟

قال: فَمَتَّ له برحم بعيد.

فألان له القول، ثم قال ابن عباس: اعرفوا أنسابكم تصلوا أرحامكم؛ فإنه لا قربى بالرحم إذا قُطعت إن كان قطعها؟

وفى رواية الطيالسى زاد (أى اعرفوها)، وفى رواية: وكل رحم آتية يوم القيامة لصاحبها تشهد له بصلة إن كان وصلها، وعليه بقطيعة إن كان قطعها.

❑★❑★❑

---

(١) رواه مسلم - في كتاب البر والصلة (١٢).

(٢) رواه البخاري (٢٦٩٩).

النفقة على الأرحام

قال فيها النبي ﷺ: «**لَهُ أَجْرانِ: أَجْرُ القَرَابَةِ، وَالصَّدَقَةِ**».

وقال أنس بن مالك ﷺ: كان أبو طلحة ﷺ أكثر الأنصار بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها، ويشرب من ماء فيها طيب.

قال أنس ﷺ: فلما أُنزلت هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قام أبو طلحة إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله إن الله تعالى يقول ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ وإن أحب أموالي إليَّ بيرحاء، وإنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله؛ فضعها يا رسول الله ﷺ حيث أراك الله.

قال أنس ﷺ: فقال رسول الله ﷺ: «**بَخٍ بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابحٌ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّى أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِى الأَقْرَبِينَ**».

فقال أبو طلحة ﷺ: أفعل يا رسول الله؛ فقسمها أبو طلحة فى أقاربه، وبني عمه[(١)].

وقال النبى ﷺ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى ذِى الرَّحِمِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**»[(٢)].

وقال ثابت عن أنس ﷺ قال: قال: النبى ﷺ لأبي طلحة ﷺ: «**اجْعَلْهُ لِفُقَرَاءِ أَقَارِبِكَ**» فجعلها لحسان وأبي بن كعب، وفى رواية: وكانا أقرب إليه منى، وكانا مجتمعان فى الأب الثالث[(٣)].

وفى هذا الحديث وقفات:

الوقفة الأولى: قول النبى ﷺ «**وَإِنِّى أَرَى**». فليس الأمر بالإكراه؛ فقد أنفق الرجل مما يحب، بل أحب شيء إليه، طيعة بها نفسه.

---

(١) فتح الباري (٣/ ٣٨١).

(٢) رواه الطيالسي - وحسنه الألباني في الإرواء (٨٨٣).

(٣) المصدر السابق.

الوقفة الثانية: قول النبى ﷺ: «**أَنْ تَجْعَلَهَا فِى الأَقْرَبِينَ**» فدل ذلك على الرأى النبوي الرشيد على أهمية مراعاة الأقارب، وأنهم أولى بالأشياء الثمينة، ذات القيمة العالية.

الوقفة الثالثة: إن الأمر ليس بالمراعاة المالية فحسب، بل بكل أنواع المراعاة، والمعيار فقط: ﴿مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ أى بالغالى والحبيب إلى النفس من كل نوع فيه رعاية وتودد، وصلة قوية مالية، أو اجتماعية، أو أسرية.

وقال بعضهم: إذا أوصى لقرابته فهو إلى آبائه فى الإسلام[1].

وقال ﷺ: «**الصَّدَقَةُ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ، وَعَلَى ذِى الرَّحِمِ صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ**»[2].

وعن أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث ﷺ أنها أعتقت وليدة (أمة) ولم تستأذن النبى ﷺ؛ فلما كان يومها الذى يدور عليها فيه قالت: أشعرت يا رسول الله أنى أعتقت وليدتى؟ قال: «**أَوَ فَعَلْتِ**»؟ قالت: نعم.

قال: «**أَمَا إِنَّكِ لَوْ أَعْطَيْتِهَا أَخْوَالَكِ كَانَ أَعْظَمَ لأَجْرِكِ**».

وللعتق أجر عظيم، وصلة القرابة أعظم أجرًا من العتق.

وعن أم كلثوم بنت عقبة ﷺ أن النبى ﷺ قال: «**أَفْضَلُ الصَدَقَةِ الصَدَقَةُ عَلَى ذِي الرَحِمِ الكَاشِحِ**»[3].



---

(١) فتح الباري (٥/ ٤٤٦).

(٢) رواه الترمذي، وقال حديث حسن.

(٣) رواه الطبراني وابن خزيمة في صحيحه والحاكم، وقال: صحيح على شرط مسلم، وصححه الشيخ الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٥٣٥).

ومعنى الكاشح: الذي يضمر في كشحه - وهو خصره - يعني أن أفضل الصدقة الصدقة على ذي الرحم المضمر العداوة في باطنه.

ذكر حكم رسول الله ﷺ الموافق لكتاب الله تعالى من وجوب الإنفاق للأقارب

قال الإمام ابن القيم رحمه الله:

وى أبو داود في سننه عن كليب بن منفعة عن جده أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: من أَبَرُّ؟ قال: «**أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، وَمَوْلاَكَ الذِي يَلِي ذاكَ: حَقٌّ وَاجِبٌ، وَرَحِمٌ مَوْصُولَةٌ**».

وروى النسائي عن طارق المحاربي قال: قدمت المدينة فإذا رسول الله ﷺ قائم على المنبر يخطب الناس وهو يقول: «**يَدُ الْمُعْطِي العُلْيَا، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ: أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أدناكَ أدْنَاكَ**»، وفي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتي، قال: «**أُمُّكَ**»، قال: ثم من؟ قال: «**أُمُّكَ**»، قال: ثم من؟ قال: «**أُمُّكَ**»، قال: ثم من؟ قال: «**أَبُوكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ**»[1].

وفي الترمذي عن معاوية القشيري ﷺ قال: قلت: يا رسول الله من أبر قال: «**أُمَّكَ**»، قلت: ثم من؟ قال: « **أُمَّكَ**»، قال: ثم من؟ قال: « **أُمَّكَ**»، قلت: ثم من؟ قال: «**أَبَاكَ، ثُمَّ الأَقْرَبَ فَالأَقْرَبَ**»[2].

وقد قال النبي ﷺ لهند: «**خُذِي مَا يَكْفِيكِ وَوَلَدَكِ بِالْمَعْرُوفِ**»[3]

---

(١) صحيح: البخاري – كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة (٥٩٧١)، ومسلم – كتاب البر والصلة والآداب، باب بر الوالدين وأنهما أحق به (٢٥٤٨).

(٢) رواه الترمذي – كتاب البر والصلة، باب بر الوالدين (١٨٩٧)

(٣) سبق تخريجه.

وفي سنن أبي دواد من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلْتُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ، وَأَنَّ أَوْلاَدَكُمْ مِنْ كَسْبِكُمْ فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا».

ورواه أيضًا من حديث عائشة ﵂ مرفوعًا، وروي النسائي من حديث جابر بن عبد الله ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا؛ فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فلأَهْلِكَ فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذوي قَرَابتكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابتكَ فَهَكَذا، وَهَكَذا».

وهذا كله تفسير لقوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦]، فجعل سبحانه حق ذي القربى يلي حق الوالدين، كما جعله النبي ﷺ سواء بسواء، وأخبر سبحانه أن لذي القربى حقًا على قرابته، وأمر بإتيانه إياه، فإن لم يكن ذلك حق النفقة؛ فلا ندري أي حق هو؟ وأمر تعالى بالإحسان إلى ذي القربى، ومن أعظم الإساءة أن يراه يموت جُوعًا وعُريًا؛ وهو قادر على سَدِّ خُلَّتِهِ، وستر عورته، ولا يطعمه لقمة، ولا يستر له عورة إلا بأن يقرضه ذلك في ذمته، وهذا الحكم من النبي ﷺ مطابق لكتاب الله تعالى حيث يقول: ﴿وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، فأوجب سبحانه وتعالى على الوارث مثل ما أوجب على المولود له، وبمثل هذا الحكم حكم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁، فروى سفيان بن عيينة عن ابن جريج عن عمرو بن شعيب عن سعيد بن المسيب أن عمر ﵁ حبس عصبة صبي على أن ينفقوا عليه، الرجال دون النساء.

وقال عبد الرزاق: أنبأنا ابن جريج أخبرني عمرو بن شعيب أن ابن المسيب أخبره أن عمر بن الخطاب ﵁ وقف بني عم منفوس بني عم كلالة بالنفقة عليه مثل العاقلة؛ فقالوا: لا مال له، فقال: ولو وقوفهم بالنفقة عليه كهيأة العقل، قال ابن المديني قوله: ولو: أي ولو لم يكن له مال.

وذكر ابن أبي شيبة عن أبي خالد الأحمر عن حجاج عن عمرو عن سعيد بن المسيب قال: جاء ولي يتيم إلى عمر بن الخطاب ﷺ فقال: انفق عليه، ثم قال: لو لم أجد إلى أقصى عشيرته لفرضت عليهم وحكم بمثل ذلك أيضًا زيد بن ثابت.

وقال ابن جريج: قلت لعطاء ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾، قال: على ورثة اليتيم أن ينفقوا عليه كما يرثونه، قلت له أيحبس وارث المولود إن لم يكن للمولود مال؟ قال: أفيدعه يموت، وقال الحسن ﴿وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ﴾، قال: على الرجل الذي يرث أن ينفق عليه حتى يستغني، وبهذا فسر الآية جمهور السلف منهم: قتادة، ومجاهد، والضحاك، وزيد بن أسلم، وشريح القاضي، وقبيصة بن ذؤيب، وعبد الله بن عتبة بن مسعود، وإبراهيم النخعي، والشعبي، وأصحاب ابن مسعود، وممن بعدهم سفيان الثوري، وعبد الرزاق، وأبو حنيفة، وأصحابه وممن بعدهم الإمام أحمد، واسحق، وداود رحمهم الله وأصحابهم.

فالنفقة تستحق بشيئين بالميراث بكتاب الله، وبالرحم بسنة رسول الله ﷺ، وقد تقدم أن عمر بن الخطاب ﷺ حبس عصبة صبي أن ينفقوا عليه، وكانوا بني عمه؛ فإنه لا مخالف له من الصحابة البتة، وهو قول جمهور السلف، وعليه يدل قوله تعالى: ﴿وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ [الإسراء: ٢٦]، وقوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء: ٣٦]، وقد أوجب النبي ﷺ العطية للأقارب، وصرح بأنسابهم.

فقال: «وَأُخْتُكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ فَأَدْنَاكَ: حَقٌّ وَاجِبٌ، وَرَحِمٌ مَوْصُولٌ»، فإن قيل المراد بذلك البر والصلة دون الوجوب، قيل يرد هذا أنه سبحانه أمر به، وسماه حقًا، وأضافه إليه بقوله حقًا، وأخبر النبي ﷺ بأنه حق، وأنه واجب، وبعض هذا ينادي على الوجوب جهارًا، فإن قيل المراد بحقه ترك قطعيته فالجواب من وجهين:

أحدهما: أن يقال فأية قطيعة أعظم من أن يراه يتلظي جوعًا وعطشًا، ويتأذي غاية الأذي بالحر والبرد، ولا يطعمه لقمة، ولا يسقيه جرعة، ولا يكسوه ما يستر عورته، ويقيه الحر والبرد، ويسكنه تحت سقف يظله، هذا وهو أخوه، وابن أمه وأبيه، أو عمه

صنو أبيه، أو خالته التي هي أمه، وإنما يجب عليه من ذلك ما يجب بذله للأجنبي البعيد بأن يعاوضه على ذلك في الذمة إلى أن يوسر، ثم يسترجع به عليه هذا، مع كونه في غاية اليسار والجدة، وسعة الأموال، فإن لم تكن هذه قطعية فإنا لا ندري ما القطيعة المحرمة، وما الصلة التي أمر الله بها، وحرم الجنة على قاطعها.

الوجه الثاني: أن يقال فما هذه الصلة الواجبة التي نادت عليها النصوص، وبالغت في إيجابها، وذمت قاطعها؛ فأي قدر زائد فيها على حق الأجنبي حتى تعلقه القلوب، وتخبر به الألسنة، وتعمل به الجوارح: أهو السلام عليه إذا لقيهن وعيادته إذا مرض، وتشميته إذا عطس، وإجابته إذا دعاه، وإنكم لا توجبون شيئًا من ذلك إلا ما يجب نظيره للأجنبي على الأجنبي، وإن كانت هذه الصلة ترك ضربه وسبه وأذاه والازراء به، ونحو ذلك؛ فهذا حق يجب لكل مسلم على كل مسلم، بل للذمي البعيد على المسلم؛ فما خصوصية صلة الرحم الواجبة، ولهذا كان بعض فضلاء المتأخرين يقول: أعياني أن أعرف صلة الرحم الواجبة.

ولما أورد الناس هذا على أصحاب مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، وقالوا لهم: ما معنى صلة الرحم عندكم؟ صنف بعضهم في صلة الرحم كتابًا كبيرًا، واستوعب فيه من الآثار المرفوعة والموقوفة، وذكر جنس الصلة وأنواعها وأقسامها، ومع هذا فلم يتخلص من هذا الالزام فإن الصلة معروفة: يعرفها الخاص والعام، والآثار فيها أشهر من العلم، ولكن ما الصلة التي تختص بها الرحم، وتجب له الرحمة، ولا يشاركه فيها الأجنبي؟

فلا يمكنكم أن تُعَيِّنوا وجوب شيء إلا وكانت النفقة أوجب منه، ولا يمكنكم أن تذكروا مسقطًا لوجوب النفقة إلا وكان ما عداها أولى بالسقوط منه، والنبي ﷺ قد قرن حق الأخ والأخت بالأب والأم؛ فقال: «**أُمَّكَ وَأَبَاكَ، وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أدناكَ أدْناكَ**» فما الذي نسخ هذا؟ وما الذي جعل أوله للوجوب وآخره للاستحباب؟ وإذا عرف هذا فليس من بر الوالدين أن يدع الرجل أباه يكنس الكنيف، ويكاري على الحمير، ويوقد في أتون الحمام، ويحمل للناس على رأسه ما يتقوت بأجرته، وهو في غاية الغني واليسار، وسعة ذات اليد، وليس من بر أمه أن يدعها تخدم الناس، وتغسل

ثيابهم، وتسقي لهم الماء، ونحو ذلك، ولا يصونها بما ينفقه عليها، ويقول الأبوان مكتسبان صحيحان، وليسا بزمنين ولا أعميين؛ فيا للعجب أين شرط الله ورسوله في بر الوالدين وصلة الرحم أن يكون أحدهم زمنًا أو أعمى؟ وليست صلة الرحم ولا بر الوالدين موقوفة على ذلك شرعًا ولا لغة ولا عرفًا، وبالله التوفيق .

قال الأستاذ/ محمد يوسف موسى:

ولعل من الخير أن أذكر هنا أنى حين إقامتي بفرنسا كانت تخدم الأسرة التي نزلتُ في بيتها فترة من الزمن فتاة، يظهر عليها مخايل، أو علائم كرم الأصل، فسألتُ ربة الأسرة: لماذا تخدم هذه الفتاة؟ أليس لها قريب يجنبها هذا العمل غير الكريم لكسب ما تقيم به حياتها؟

فكان جوابها: إنها من أسرة طيبة في البلدة، ولها عم غني موفور الغنى، ولكنه لا يُعْنَى بها، ولا يهتم بأمرها!

فسألت: لماذا لا ترفع الأمر للقضاء للحكم عليه بالنفقة؟

فدهشت السيدة من هذا القول، وعرفتني أن ذلك لا يجوز لها قانونًا!

وحينئذٍ أفهمتها حكم الإسلام في هذه الناحية، فقالت: من أين لنا بمثل هذا التشريع؟! ولو أن هذا جائز قانونًا عندنا، لما وجدت فتاةً أو سيدةً تخرج من بيتها للعمل في شركة أو مصنع أو معمل أو ديوان من دواوين الحكومة مثلاً؟ [٢].



(١) زاد المعاد (٤/ ٢٤٠-٢٤٥) باختصار.

(٢) الإسلام وحاجة الإنسانية إليه (٢٥٦).

المجتمع المثالي

هو المجتمع الذي أقامه الإسلام، هو المجتمع الذي يقوم على التعاون والتراحم والبر، وهو الذي بينه لنا النبي ﷺ:

«مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، مَثَلُ الْجَسَدِ إِذا اشْتَكَي مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(١).

إن المجتمع المترابط كالبنيان كما قال النبي ﷺ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ» وفي لفظ: «كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» شبك بين أصابعه(٢).

مجتمع الرحمة بالضعيف والصغير، والتوقير والرعاية للكبير.

ولذا فإن الحاجة أكيدة وشديدة للتمسك بالأصول والضوابط التي بني عليه المجتمع المسلم، تلك القيم السامية التي ينبغي أن تربي وتحيى عليها الأجيال المسلمة، إذا إن ديننا يحكم تصرفاتنا، ومعاملاتنا داخل المجتمع.

إن المجتمع الإسلامي هو مجتمع العقيدة، نقل العرب من حال إلى حال.

فالمجتمع الإسلامي هو المجتمع الوحيد الذي يحقق التضامن الاجتماعي بين أفراده، وتقوم العلاقة برينهم على الود والتعاون والرحمة والسماحة والصفاء.

إن ترابط المجتمع المسلم ببعضه ترابط دائم مادامت الحياة، فالتراحم والتواد بين أعضاء الجسد الواحد هو أصل ذلك كله، بل يتعدى فيصل إلى الرحمة والعطف على الحيوان.

فمن هنا كانت العودة إلى الإسلام، والتمسك بكل تعاليمه هي الانطلاقة التي تنطلق منها الأمة لتغير واقعها، وما ألم بها.

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

ولن يأتي هذا إلا من خلال صلاح الأفراد الذين بهم تنصلح الأسر فينصلح المجتمع.

إذا إن مثالية هذا المجتمع نابعة من منهجه الرباني القائم على الكتاب والسنة، وإن كل مسلم يرجو رحمة ربه ويخاف آخرته، عليه أن يسهم في بناء هذا المجتمع المثالي، وهو بذلك يحقق سعادة الدنيا والآخرة.



حكم تفضيل الأقارب في الهبات

أي إنه إذا أراد أن يعطي أحد أقاربه شيئًا، فهل عليه أن يعطي الجميع، أو يساوى بينهم.

قال الإمام ابن قدامة رَحِمَهُ اللَّهُ:

وليس عليه التسوية بين سائر أقاربه، ولا إعطائهم على قدر مواريثهم: سواء كانوا من جهة واحدة: كإخوة وأخوات، وأعمام وبني عم، أو من جهات كبنات أو أبناء غيرهم.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولنا أنها عطية لغير الأولاد في صحته؛ فلم تجب عليه التسوية كما كانوا غير وارثين، ولأن الأصل إباحة تصرف الإنسان في ماله كيف شاء، وإنما وجبت التسوية بين الأولاد بالخبر.

وليس غيرهم في معناهم، لأنهم استووا في بر والدهم، فاستووا في عطيته، وبهذا علل النبي ﷺ حين قال: «**أَيَسُرُّكَ أَنْ يَسْتَوُوا فِي بِرِّكَ**» قال: نعم، قال: «**فَسَوِّ بَيْنَهُمْ**» ولم يوجد هنا في غيرهم، ولأن الأولاد لشدة محبة الوالد لهم، وصرف ماله إليهم عادة يتنافسون في ذلك، ويعتد عليهم تفضيل بعضهم، ولا يباريهم في ذلك غيرهم؛ فلا يصح عليهم، ولا نص في غيرهم[1].



(١) المغنى (٨/ ٢٦٠- ٢٦١).

الأمور المعينة على الصلة

١ - التفكير في الآثار المترتبة على الصلة:

فإن معرفة ثمرات الأشياء، واستحضار حسن عواقبها من أكبر الدواعي إلى فعلها، وتمثلها، والسعي إليها.

٢- النظر في عواقب القطيعة:

وذلك بتأمل ما تجلبه القطيعة من هم، وغم، وحسرة، وندامة، ونحو ذلك، فهذا مما يعين على اجتنابها، والبعد عنها.

٣- الاستعانة بالله:

وذلك بسؤال التوفيق، والإعانة على صلة الأقارب.

٤- مقابلة إساءتهم بالإحسان:

فهذا مما يبقي على الود، ويحفظ ما بين الأقارب من العهد، ويهون على الإنسان ما يلقاه من شراسة أقاربه وإساءتهم.

ولهذا أتى رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعونني، وأحسن إليهم، ويسيئون إلي، وأحلم عنهم ويجهلون علي.

قال ﷺ: «**لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ الْمَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ اللهِ ظَهِيرٌ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ**»[1].

قال الإمام النووي رَحِمَهُ اللهُ:

وهو تشبيه لما يلحقهم من الألم بما يلحق آكل الرماد الحار من الألم، ولا شيء على هذا المحسن، بل ينالهم الإثم العظيم في قطيعته، وإدخالهم الأذى عليه.

---

(١) صحيح: مسلم - كتاب البر والصلة الآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٢٥٥٨).

وقيل: معناه أنك بالإحسان إليهم تحرجهم، وتحقرهم في أنفسهم، لكثرة إحسانك وقبيح فعلهم من الخزي والحقارة عند أنفسهم كما يسف الملّ.

وقيل: ذلك الذي يأكلونه من إحسانك كالملِّ يحرق أحشائهم، والله أعلم[١].

فهذا الحديث عزاء لكثير من الناس ممن ابتلوا بأقارب شرسين، يقابلون الإحسان بالإساءة، وفيه تشجيع للمحسنين على أن يستمروا على طريقتهم المثلى؛ فإن الله معهم، وهو مؤيدهم، وناصرهم، ومثبتهم.

ومن أجمل ما قيل في ذلك قول المقنع الكندي:

وإن الذي بيني وبين بني أبي	وبين بني عمي لمختلف جدًا
إذا قدحوا لي نار حربٍ بزندهم	قدحت لهم في كل مكرُمةٍ زندا
وإن أكلوا لحمي وفرتُ لحومهم	وإن هدموا مجدي بنيت لهم مجدًا
ولا أحمل الحقد القديم عليهمُ	وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا
وأعطيهم ما لي إذا كنت واجدًا	وإن قل مالي لم أكلفهم رفدًا[٢].

٥- **قبول أعذارهم إذا أخطأوا واعتذروا:**

ومن جميل ما يذكر في ذلك ما جرى بين يوسف ﷺ وإخوته، فلقد فعلوا به ما فعلوا، وعندما اعتذروا قبل عذرهم، وصفح عنهم الصفح الجميل، فلم يقرعهم ولم يوبخهم، بل دعا لهم، وسأل الله المغفرة لهم.

قال تعالى: ﴿ قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ۝٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾

[يوسف: ٩١، ٩٢]

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي (١٦/ ١١٥).

(٢) بهجة المجالس (٢/ ٧٨٤ – ٧٨٥).

٦- الصفح عنهم ونسيان معايبهم، حتى ولو لم يعتذروا:

فهذا مما يدل على كرم النفس، وعلو الهمة، فالعاقل اللبيب يعفو عن أقاربه، وينسى عيوبهم، ولا يذكرهم بها.

ومن جميل ما يذكر في ذلك قول القائل:

وحسبك من ذلٍّ وسوء صنيعةٍ ... مناواة ذي القربى وإن كان قاطع

ولكن أواسيه وأنسى عيوبه ... لترجعه يومًا إلى الرواجع

ولا يستوي في الحكم عبدان واصلٌ ... وعبدٌ لأرحام القرابة قاطع[1]

٧- التواضع ولين الجانب:

فهذا مما يحبب القرابة بالشخص، ويدنيهم منه، وصدق من قال:

من كان يحلم أن يسود عشيرة ... فعليه بالتقوى ولين الجانب

ويغض طرفًا عن مساوئ من أسا ... منهم ويحلم عند جهل الصاحب[2]

٨- التغاضي والتغافل:

فالتغاضي والتغافل من أخلاق الأكابر والعظماء، وهو مما يتعين على استبقاء المودة واستجلابها، وعلى وأد العداوة، وإخلاء المباغضة.

ثم إنه دليل على سمو النفس وشفافيتها، وهو مما يرفع المنزلة، ويعلي المكانة، والتغاضي والتغافل حسن مع جميع الناس وهو مع الأقارب أولى وأحرى وأجمل.

قال ابن حبان: ومن لم يعاشر الناس على لزوم الإغضاء عما يأتون من المكروه، وترك التوقع لما يأتوه من المحبوب كان إلى تكدير عيشه أقرب منه إلى صفائه، وإلى أن يدفعه الوقت إلى العداوة والبغضاء أقرب منه أن ينال منهم الوداد وترك الشحناء[3].

---

(١) أدب الدنيا والدين (١٥٣).

(٢) الآداب الشرعية والمنح الرعية لابن مفلح (٣/ ٥٨٣).

(٣) روضة العقلاء ص (٧٢).

وقال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

أغمضُ عيني عن أمورٍ كثيرة ... وإني على ترك الغُمُوضِ قديرُ
وما من عميً أُغْضِي ولكن لربما ... تعامى وأَغْضَى المرء وهو بصير
وأسكت عن أشياءَ لو شئت قلتُها ... وليس علينا في المقال أمير
أُصَبِّرُ نفسي باجتهادي وطاقتي ... وإني بأخلاق الجميع خبير[1]

٩- بذل المستطاع لهم:

من الخدمة بالنفس، أو الجاه، أو المال.

١٠- ترك المنة عليهم، والبعد عن مطالبتهم بالمثل:

وقد مر بنا أن الواصل ليس بالمكافئ، فمما يعين على بقاء المودة أن يحرص الإنسان على أن يعطي أقاربه، ولا يطالبهم بالمثل، وألا يَمُنَّ عليهم بعطائه، أو زياراته، أوغير ذلك.

١١- توطين النفس على الرضا بالقليل من الأقارب:

فالعاقل الكريم لا يستوفي حقه كاملاً، بل يرضى بالقليل، وبالعفو الذي يأتي من أقاربه، حتى يستميل بذلك قلوبهم، ويبقى على مودته هلم، كما قيل لهم:

إذا أنت لم تستبقِ ودَّ صحابةٍ ... على دخنٍ أكثرت بث المعايب[2]

١٢- مراعاة أحوالهم، وفهم نفسياتهم، وإنزالهم منازلهم:

فمن الأقارب من يرضى بالقليل، فتكفيه الزيارة السنوية، وتكفيه المكالمة الهاتفية، ومنهم من يرضى بطلاقة الوجه والصلة بالقول فحسب، ومنهم من يعفو عن حقه كاملاً، ومنهم من لا يرضى إلا بالزيارة المستمرة، وبالملاحظة الدائمة، فمعاملتهم بمقتضى أحوالهم يعين على الصلة، واستبقاء المودة.

---

(١) ديوان الإمام علي ص (١٠٦).

(٢) عيون الأخبار (٣/ ٩١).

١٣- ترك التكلف مع الأقارب، ورفع الحرج عنهم:

وهذا مما يغري بالصلة، فإذا علم الأقارب عن ذلك الشخص أنه قليل التكلف، وأنه يَتَّسِمُ بالسماحة حرصوا على زيارته وصلته.

١٤- تجنب الشدة في العتاب:

حتى يألف الأقارب المجيء، ويفرحوا به، فالكريم هو الذي يعطي الناس حقوقهم ويتغاضى عن حقه إذا قصر فيه أحد.

ثم إن كان هناك من خطأ يستوجب العتاب، فليكن عتابًا لطيفًا رقيقًا.

فهناك ظاهرة اجتماعية غير حسنة: وهي أن بعض الناس يظن أنه يقابل من يقابل باللوم الشديد لماذا لا نراك - طالت المدة - سنتان لا نراك؟! وإذا اعتذر الشخص يستمر هوفي اللوم والتأنيب أو لا يعلم هذا الذي يلوم أن اللوم يمكن أن يوجه إليه أيضًا؟ وهذا يتأتى من شخص قد تدرب على مثل هذه الطريقة.

وقد يفعل ذلك وهو يظن أن ذلك من حسن العلاقة، على الرغم من أن هذه القضية ليست صحيحة في نفسها؛ فمن طبيعة البشر أنهم يجتمعون ويتفرقون، والود ليس بالضرورة، مقصورًا على من تكثر رؤيته، وقد يضيق الإنسان بتكرار رؤية الذي لا يحبه فقد تتكرر الرؤية لمن لا نحب.

ومن نكد الدنيا على الحُرِّ أن يرى عدوًا له ما من صداقته بُدُّ

وقد يكون الأمر أخف إذا كان الذي يلوم أكبر من الملام، أما إن كانا قرينين، أو كان الذي يلوم هو الأصغر؛ فتلك كبيرة، وعواقب ذلك أن يخسر الشخص الناس؛ فيتجنبونه، ويبتعدون عنه، وهناك من يلوم بأسلوب لاذع؛ فيكون أشد من ذلك، كأن يقول: خرب بابنا من كثرة دقك عليه، أو خرب هاتفنا من كثرة سؤالك.

وفي هذه القصة تجلية لذلك الأمر:

ذهب أبو عبيد بن سلام لأحمد بن حنبل فقال: يا أبا عبد الله لو كنت آتيك على نحو ما تستحق لأتيتك كل يوم.

فقال أحمد بن حنبل: لا تقل هذا: إن لي إخوانًا لا ألقاهم إلا كل سنة مرة، أنا أوثق بمودتهم ممن ألقي كل يوم فليس معنى المودة أن نلتقى كل يوم، وليس عدم اللقاء هو عدم المحبة(١).

١٥- تحمل عتاب الأقارب، وحمله على أحسن المحامل:

وهذا أدب الفضلاء، ودأب النبلاء، ممن تمت مروءتهم، وكملت أخلاقهم، وتناهى سؤددهم، ممن وسعوا الناس بحلمهم، وحسن تربيتهم، وسعة أفقهم.

فإذا ما عابهم أحد من الأقارب، وأغلظ عليهم لتقصيرهم في حقه حملوا ذلك على أحسن المحامل، فيرون أن هذا المعاتب محب لهم، مشفق عليهم، حريص على مجيئهم، ويشعرون بذلك، ويعتذرون له من تقصيرهم، حتى تَخفَّ حدَّتُه، وتهدأ ثورتُه.

فبعض الناس يُقدِّر ويحب ويشفق، ولكنه لا يستطيع التعبير عن ذلك إلا بكثرة اللوم والعتاب.

والكرام يحسنون مع هؤلاء التعامل، ويحملون كلامهم على أحسن المحامل، ولسان حالهم يقول: لو أخطأت في حسن أسلوبك لما أخطأت في حسن نيتك.

١٦- الاعتدال في المزاح مع الأقارب:

مع مراعاة أحوالهم، وتجنب المزاح مع من لا يتحمله.

١٧- تجنب الخصام، وكثرة الملاحاة والجدال العقيم مع الأقارب:

فإن كثرة الخصام والملاحاة والجدال تورث البغضاء، والانتصار للنفس، والتشفي من الطرف الآخر.

بل يحسن بالمرء مداراة أقاربه، والبعد عن كل ما من شأنه أن يكدر صفو الوداد معهم.

(١) بتصرف من فن التعامل مع الناس للدكتور عبد الله الخاطر.

١٨- المبادرة بالهدية إن حصل خلاف مع الأقارب:

فالهدية تجلب المودة، وتكذب سوء الظن، وتستل سخائم القلوب، كما قيل:

إن الهديـــــةَ حلـــــوةٌ   كالسحـــر تجتــذب القلــوبــا

تدنـــي البعيــد مـــن الحقـوق   حتـــى تصيـــره قريبـــًا

وتعيـــد مضطغـــن العـــدا   من بعـــد بغضتـــه حبيبـًا

تنفي السخيمة عن ذوي الشحنا وتمحق الذنوبًا[1].

١٩- أن يستحضر الإنسان أن أقاربه لُحْمَة منه:

فلابد له منهم، ولا فكاك له عنهم، فعزهم عزٌ له، وذلهم ذلٌ له، والعرب تقول: أنفك منك وإن ذَنَّ[2]، وعيصك[3] منك وإن كان أشبًا»[4][5].

٢٠- أن يعلم أن معاداة الأقارب شر وبلاء:

فالرابح فيها خاسر، والمنتصر مهزوم، كما قال البحتري في صلح بني تغلب:

وفرســان هيجــاءٍ تَجِشُ صدورُها   بأحقــادها حتى تضيــق دروعُهــا

تُقَتَّــل مـــن وَتْــرٍ أعــزَّ نفوسهــا   عليهــا بأيـــدٍ مــا تكــادُ تطيعُها

إذا احتربتْ يومًا ففاضت دماؤهــا   تذكـرت القربى ففاضـت دموعُها

شواجـرُ أرمــاحٍ تُقَطِّــعِ بينهـــم   شواجــرَ أرحــامٍ ملــومٌ قطوعُها[6]

---

(١) روضة العقلاء (٢٤٣).

(٢) ذن: سال مخاطه.

(٣) عصيك: العيصي: الشجر الكثيف الملتف.

(٤) أشبا: الأشب: شدة التفاف الشجر.

(٥) عيون الأخبار (٣/ ٨٩).

(٦) ديوان البحتري (١/ ٦).

وكما قال الآخر:

قومـي هـم قتلـوا أميـم أخـي   فـإذا رميـت يصيبنـي سهمـي

فلئـن عفـوت لأعْفُـوَنْ جلـلاً   ولئـن سطـوت لأوهِنَـنْ عظمي[1]

٢١- الحرص التام على تذكر الأقارب في المناسبات والولائم:

ومن الطرق التي قد تنفع في ذلك أن يسجل أسماء أقاربه، وأرقام هواتفهم في ورقة، ثم يحفظها عنده، وإذا أراد دعوتهم فتح الورقة حتى يستحضرهم جميعًا، ويتصل بهم: إما بالذهاب إليهم، أو عبر الهاتف، أو غير ذلك.

ثم إن نسي واحدًا منهم فليذهب إليه، وليعتذر له، وليسعَ في رضاه ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

٢٢- الحرص التام على إصلاح ذات البين:

فمما ينبغي على الأقارب - وعلى الأخص من وهبهم الله محبة في النفوس - أن يبادروا إلى إصلاح ذات البين إذا فسدت، وألا يتوانوا في ذلك، لأنها إذا لم تُصْلَحْ ويُبَادِرْ في ذلك فإن شرها سيستطير، وبلاءها سيكتوي بناره الجميع.

٢٣- تعجيل قسمة الميراث:

حتى يأخذ كلٌ واحدٍ نصيبه، ولئلا تكثر الخصومات والمطالبات، ولأجل أن تكون العلاقة بين الأقارب خالصةً صافيةً من المكدرات.

٢٤- الحرص على الاتفاق والوئام حال الشراكة:

فإذا اشترك الأقارب في شراكة ما فليحرصوا كل الحرص على الوئام التام، والاتفاق في كل الأمور، وأن تسود بينهم روح الإيثار والمودة، والشورى والرحمة، والصدق والأمانة، وأن يحب كل واحد منهم لأخيه ما يحبه لنفسه، وأن يعرف كل طرف ماله، وما عليه.

---

(١) عيون الأخبار (٣/ ٨٨).

كما يحسن بهم أن يناقشوا المشكلات بمنتهى الوضوح والصراحة، بعيدًا عن المجاملة والمراوغة والمواربة، وأن يحرصوا على التفاني والإخلاص في العمل، وأن يتغاضى كل منهم عن صاحبه.

ويجمل بهم أيضًا أن يكتبوا ما يتفقون عليه.

فإذا حرصوا على ما مضى فإنه حري أن تحل الرحمة فيهم، وأن تسود المودة بينهم، وأن تنزل بركات الشركة عليهم.

٢٥- الاجتماعات الدورية:

سواء كانت شهرية، أو حتى سنوية، أو غير ذلك، فهذه الاجتماعات فيها خير كثير، ففيها التعارف، والتواصل، والتواصي، وغير ذلك.

وليكن إقامة يوم في الأسبوع للرجال، ويوم في الأسبوع للنساء يسمى يوم «**صلة الرحم**».

فإن لم يكن يتفق على يوم في الشهر، ولهذه الاجتماعات آثار إيجابية على النفس، وتفيد في تربية الأبناء.

٢٦- صندوق القرابة:

الذي تجمع فيه تبرعات الأقارب واشتراكاتهم، ويشرف عليه بعض الأفراد، فإذا ما احتاج أحد من الأسرة مالاً لزواج، أو لنازلة، أو غير ذلك، بادروا إلى دراسة حاله، وساعدوه ورفدوه، فهذا مما يولد المحبة، وينمي المودة.

٢٧- دليل الأقارب:

فيحسن بالأقارب أن يقوم بعضهم بوضع دليل خاص يحتوي على أرقام هواتف القرابة، ثم يطبع ويوزع على جميع الأقارب، فهذا الصنيع يعين على الصلة، ويذكر المرء بأقاربه إذا أراد السلام عليهم، أو دعوتهم للمناسبات والولائم.

٢٨- يراعي في ذلك كله أن تكون الصلة قربة لله:

فالصلة لوجهه وحده لا شريك له، وأن تكون تعاونًا على البر والتقوى، لا يقصد بها حمية الجاهلية ولا عبِّيَّتُها.

٢٩- مناداتهم بالأسماء المحبوبة:

ياعم، يا خال، يا ابن العم، يا ابنة العم، ... وهكذا.

وهذه سنة سنها رسول الله ﷺ، فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: أقبل سعد – أي: سعد بن أبي وقاص – فقال النبي ﷺ: «**هَذَا خَالِي فَلْيُرِنِي امْرُؤٌ خَالَهُ**».

قال أبو عيسى الترمذي رحمه الله: وكان سعد من بني زهرة، وكانت أم النبي ﷺ من بني زهرة؛ لذلك قال النبي ﷺ: «**هَذَا خَالِي**»[1].

❑★❑★❑

(١) صحيح: رواه الترمذي(٣٧٥٢) المناقب، وصححه الألباني في المشكاة(٦١١٨)

وسائل صلة الرحم

وهي بفضل الله كثيرة:

١- محبتهم.

٢- تفقد أحوالهم، وزيارتهم، والسؤال عنهم.

٣- عيادة مرضاهم.

٤- البر في دعوتهم للوليمة والضيافة.

٥- إجابة دعوتهم إذا لم تحتوِ على منكر، ولا تستطيع تغييره.

٦- استضافتهم وحسن استقبالهم.

٧- المبادرة إلى صلحهم.

٨- إصلاح ذات البين إذا فسدت بينهم.

٩- مشاركتهم في أفراحهم، ومواساتهم في أتراحهم.

١٠- الإهداء إليهم.

١١- التصدق على فقرائهم وصلة أغنيائهم بالمال.

١٢- احتمال تصرفاتهم وإساءتهم.

١٣- مراسلتهم إذا كان الإنسان بعيدًا عنهم، أو الاتصال بهم.

١٤- تولي الأيتام منهم.

١٥- الدعاء لهم.

١٦- إدخال السرور عليهم.

١٧- الحج عن الموتى منهم.

١٨- إعزازهم، وإعلاء شأنهم.

١٩- صلة القاطع منهم.

٢٠- توقير كبيرهم، ورحمة صغيرهم وضعيفهم.

٢١- دعوتهم إلى الهدى، وأمرهم بالمعروف، ونهيهم عن المنكر.

٢٢- كف الأذى عنهم، فإذا لم تعطهم، وكففت آذاك عنهم، فقد وصلتهم.

٢٣- التسامح عن زلاتهم.

٢٤- الاقتراب منهم إذا ابتعدوا.

٢٥- اللين إذا قسوا.

٢٦- الابتسام إذا تجهموا.

وهذه الصلة تستمر إذا كان الرحم صالحةً مستقيمةً، أو مستورةً.

أما إذا كانت ذو الرحم كافرةً أو فاسقةً فتكون صلتهم بالعظة والتذكير، وبذل الجهد في ذلك، فإن أعيته الحيلة في هدايتهم، كأن يرى منهم إعراضًا أو عنادًا أو استكبارًا، وأن يخاف على نفسه أن يتردى معهم، ويهوى في حضيضهم، فلينأ عنهم، وليهجرهم الهجر الجميل، الذي لا أذى فيه بوجه من الوجوه، وليكثر من الدعاء لهم بظهر الغيب، لعل الله أن يهديهم ببركة دعائه.

ثم إن صادف منهم غرة، أو سنحت له لدعوتهم أو تذكيرهم فرصة، فليُقْدِمْ وليُعِدِ الكرة بعد الكرة.



تربية الأولاد على صلة الرحم

يجب على الأب والأم أن ينميا في نفوس أولادهم ويربياهم على صلة الرحم، كما أمر الكتاب والسنة بذلك، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النحل: ٩٠].

فهذه المعني المباركة يجب أن تقدم للأولاد في قوالب عملية، بجانب التوجيهات النظرية؛ لتكون أكثر رسوخًا وتمكنًا في نفوس الأولاد، فإن الوالد في طفولته المتأخرة تزيد عنده القدرة على التكيف الاجتماعي، ومشاركة الآخرين في مسراتهم وآلامهم مشاركة وجدانية.

فإذا استغل الوالد هذه القدرة في الولد لينمي جوانب صلة الرحم المختلفة، فإنه لا يبلغ مبلغ الرجال إلا وقد تأصل هذا المبدأ العظيم في نفسه وضميره، فلا ينفك عنه أبدًا، ولن يصدر منه في الغالب ما ينافي المعاني التي تربي عليها: من الإحسان للأقارب والأرحام، والبر بهم.

ويمكن للأب المسلم في هذا المجال أن ينتهج مع أولاده أساليب شتي، وطرقًا متنوعة، تؤصل مبدأ صلة الرحم، ومن أهم هذه الأساليب والوسائل: الزيارات بين الأقارب؛ فيتخير الأب الوقت المناسب لزيارة الجد والجدة - إذا لم يكونا معه في السكن- ويصطحب معه الأولاد، خاصة المميزين منهم، ويحاول أن تكون زيارة الجد والجدة زيارة دائمة متكررة، لا تفصل بينها فواصل زمنية طويلة، إذ إن حقهما كبير، وشأنهما عند الله عظيم، خاصة الأب نفسه.

ويحاول الأب أن يشوق الأولاد لزيارة الجد والجدة بالآيات والأحاديث والآثار، ويذكرهم بفضل هذه الزيارات، وأجرها عند الله، ولا يغفل مكافأتهم إن أحسنوا التأدب في الزيارة، فإن كبار السن لا يحتملون عادة إزعاج الأطفال، وكثرة حركاتهم.

ولو أحس الأب بملل الأولاد من الزيارة، وخشي أن يتبرموا من الجلوس مع الكبار، والاستماع إلى حديثهم الذي لا يفهمونه، فإن الأب يأمر الأولاد باصطحاب

بعض ألعابهم البسيطة المسلية ليتلهوا بها حتى نهاية الزيارة، أو يؤمن الأب بعض الألعاب في بيت الجد والجدة ليتسلى بها الأولاد أثناء الزيارة، وهذا إذا كان الأولاد لا يستمتعون بحديث الجد والجدة، أما إن كانوا يرغبون في حديثهما، ويتشوقون إليه وللزيارة؛ فإنه من العبث وقلة الحياء أن يُتلهى عنهما بالألعاب، أو غيرها.

ولا يقسو الأب على أولاده ويجبرهم على هذه الزيارة، خاصة إن كانت مملة فعلا، بل يحاول أن يأخذ بعضهم دون بعض بالترتيب، ويكثر من مكافأتهم وترغيبهم بالأجر والمثوبة، ويلحق هذه الزيارة ببرنامج ممتع: مثل الخروج إلى النزهة، أو الذهاب إلى حديقة الحيوان، أو غير ذلك من المرغبات التي تسهل على الطفل القيام بهذه الزيارة المملة في نظره وموازينه.

أما زيارة الأعمام والعمات والأخوال والخالات وباقي الأقارب فهي دون منزلة زيارة الجد والجدة.

وهذا النوع من الزيارات يرغب فيه الأولاد عادة، وذلك لأنه في المعتاد يكون لدى العم أو العمة، أو الخال أو الخالة، أطفال في سنهم وعمرهم يتشوقون لرؤيتهم واللعب معهم، فلا يحتاج الأب في هذا النوع من الزيارات إلى كثير جهد في ترغيب الأولاد.

كما أن هذا النوع من الزيارات لا يكون عادة متكررًا، ومنتظمًا في أوقات معينة؛ بل يحتاج إلى تنسيق مسبق مع المضيف قبل الزيارة، ويحاول الأب أن يوجه الأولاد إلى إحسان النية والقصد قبل الزيارة والخروج لها؛ بأن تكون نيتهم لله خالصة، فيسألهم: (لماذا نزور العم فلان)؟ فيقولون: (لأن الله أمرنا بذلك)، ويركز الأب على هذا الجانب ليقوي صلتهم بالله ﷻ، ويدربهم في نفس الوقت على تحسين القصد والنية، خاصة وأن مقصد الولد في هذه الزيارة يكون للعب مع ابن عمه فلان، أو لركوب دراجته الجديدة، أو للعب بالكرة، أو لغير ذلك من المقاصد.

وليتجنب الأب وقوع شغب من أولاده، أو إزعاج للمضيف، يفضل أن يأخذ على الأولاد المواثيق والعهود بأن يلتزموا الأدب والاحترام، وأن يتجنبوا الإزعاج والمشاغبات، ويذكرهم بأن ما يجدونه عند أبناء عمهم من الألعاب هو ملكهم، وخاص بهم، فإن سمحوا لهم باللعب لعبوا معهم، وإن منعوهم لم يصروا عليهم، ولم يجبروهم.

فإن صدر من أحد الأولاد مخالفة ومشاغبة مع أولاد العم، عاقبه الأب بما يستحق، ومنعه من الزيارة المقبلة؛ ليعتبر هو وباقي الإخوة.

وللزيارات الرسمية بين الأقارب: مثل الولائم، والدعوات، والعقيقة، وغيرها من الدعوات الرسمية دورها في تقوية أواصر المحبة بين الأقارب؛ ولهذا فإن الوالد يجتهد في حضورها، وأخذ الأولاد إليها، وذلك لإجابة الدعوة، وصلة الرحم، والتقاء الأولاد مع الأقارب من الصغار والكبار، وليتعرفوا عليهم، ويعتادوا رؤيتهم، فقد أقر الرسول ﷺ هذه الزيارات، وحث عليها، قال أنس بن مالك ﷺ: أبصر النبي ﷺ نساء وصبيانًا مقبلين من عرس، فقام ممتنًا، فقال: «اللَّهُمَّ أَنْتُمْ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ»[1]، فهذا إقرار منه عليه الصلاة والسلام بمشروعية اصطحاب الأطفال إلى الأعراس، وحضورهم اجتماع الناس والأقارب.

ويقترح أن يتولى الأب إقناع الأقارب وعلى رأسهم الجد والجدة [أن يكون لهم لقاء في كل شهر، أو في كل شهرين، أو أكثر، يجتمع فيه الأقارب من نسل الجد والجدة، يلتقون على عشاء أو غداء في بيت الجد؛ فيحصل من هذا اللقاء زيادة ألفة بين الأقارب، وتعارف الأولاد الصغار بعضهم مع بعض، وقضاء وقت ممتع.

ويراعي الأب تنبيه أولاده على الأخطاء التي يمكن أن يشاهدوها عند أقاربهم، من الذين لا يعتمدون منهج التربية الإسلامية الصحيح، فإن سألوه عن بعض الممارسات التي شاهدوها، فإنه لابد من إقرار الحق، وبيان الخطأ إن وجد.

ولا تقتصر صلة الأرحام على الزيارات فقط؛ بل يدخل فيها كل خير يمكن إيصاله إليهم: من مال، أو هدية، أو معروف، أو كلمة طيبة، أو غير ذلك من البر، حتى السلام، فقد ورد في الحديث «بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بالسَّلامِ»[2].

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٩).

(٢) الترمذي، الحكيم، نوادر الأصول في معرفة أحاديث الرسول (١٦١)، والحديث حسن انظر الألباني، صحيح الجامع الصغير وزيادته، حديث رقم (٢٨٣٥) (٣/ ٩)

ومن الأساليب التي يستخدمها الأب لتحقيق مبدأ صلة الرحم عند الأولاد قضية استخدام جهاز الهاتف؛ فيعلم الولد كيف يستخدم هذا الجهاز، ثم يكلفه الاتصال بالأقارب والأرحام، والسؤال عنهم، وعن أحوالهم، خاصة المقيمين منهم خارج المدينة، وهذا الأسلوب يمكن أن يكون ناجحًا هذه الأيام، خاصة وأن أكثر الناس قد انشغل بنفسه، وأصبح اجتماع الأقارب وزياراتهم من الصعوبة بمكان، فلو تدرب الولد على الاتصال بالأقارب، خاصة في المناسبات للسؤال عنهم، وإبلاغهم السلام؛ فإن في ذلك نفعًا كبيرًا، وتدريبًا عمليًا للولد على صلة الرحم.

كما يمكن للأب استخدام أسلوب تدريب الولد على كتابة الرسائل، وهذا يكون مع الولد الكبير القادر على الكتابة، فيشجعه الأب على كتابة الرسائل الحاملة للتهاني في المناسبات الشرعية المختلفة، ويكافئه على ذلك، ويثني عليه [1].

كما يمكن للأب أن يترك الطفل ينام عند أحد أقربائه الصالحين، كي يرى أسرة ثانية، ويتدرب على التعامل مع أقربائه، ويستفيد منهم علمًا، وفهمًا، وعبادة، وصلاحًا، كما فيه تدريب على صلة الأرحام، وزيادة أواصر المحبة مع أقربائه، بالإضافة إلى ترك أثر طيب في كبره، عندما يتذكر مبيته، وزيارته الطفولية، فيرويها، ويعتز بها، كما فيها تدعيم لحسن العلاقة الاجتماعية، وإذا نبه الوالدان الطفل إلى الاستفادة من مبيته عند أقربائه، من علمهم وتقواهم، كان خيرًا على خير.

فهذا ابن عباس ﵄ يعلم الأطفال جميعًا الحرص على زيارة الأقرباء الصالحين، والاستفادة منهم.

أخرج البخاري عن ابن عباس ﵄ قال: بت في بيت خالتي ميمونة بنت الحارث ﵂ زوج النبي ﷺ وفي رواية غير البخاري: لأرقب صلاة رسول الله ﷺ... الحديث [2].

وقد أثبت الدراسات الحديثة المعاصرة الغربية أهمية هذا الأمر في التربية، وأثر ذلك على الفرد والمجتمع.

---

(١) مسئولية الأب المسلم (٢٢١- ٢٢٥)

(٢) منهج التربية النبوية للطفل (٢/ ٥٤٨)

وصل الرحم
وأثره على التعاملات مع الأقربين والأبعدين

لصلة الرحم انعكاس على التعاملات مع الأقارب والأرحام، فليس من وصل أرحامه كمن قطعهم.

فصلة الأرحام – فضلاً عما فيها من ثواب وخير وبركة – تنعكس على التعاملات مع الأقربين، بل ومع عموم الناس، فإنها أيضًا تُليِّن الجانب، وتجعل كلام من وصل، ونُصح من وصل أدعى للقبول والامتثال.

وقد ذكر العلماء عند تناولهم لحديث رسول ﷺ: «.. **وَلَكِنْ لَهُمْ رَحِمٌ سَأَبُلُّهَا بِبِلَالِهَا**»، فالرحم شبهت بالجلد الذي إذا ترك يابسًا صَعُبَ وشق عليك تحريكه، أما إذا بللته بالماء، وتابعت ذلك، سهل عليك، وأصبح لينًا في يديك، وهكذا الرحم؛ فإذا كنت تصل أقربائك، وتُهْدِي إليهم، وتتفقد أحوالهم، وتسأل عنهم، وتشاركهم أحزانهم وأفراحهم فإنهم – والحال هذه – يستمعون إليك إذا حدثتهم، ويقبلون منك إذا نصحتهم لعلمهم بحنوك وشفقتك بهم، وحرصك على وصالهم.

أما إذا هجرتهم وقطعتهم فإنهم لا يعبأون بك، ولا يُلقون لقولك بالا، ولا يُعيرون نصحك اهتمامًا؛ فبهذا يظهر شيء من فضل من وصل.

ولا يقف أثر وصل الأرحام على التعاملات مع الأرحام فحسب، بل يمتد هذا الأثر إلى التعاملات مع عموم المؤمنين، بل مع عموم الناس.

فابتداءً من أحبه الخالق حبَّب فيه خلقه، ومن أبغضه الخالق بَغَّضَه إلى العباد.

وثواب وصل الرحم يجازي الله به، ويثيب الله عليه بما ينعكس أثره على التعاملات مع الناس؛ فيصلح الله للعبد أحواله، ويسدده في أقواله وأفعاله جزاء بما أحسن ووصل،

وفي المقابل فإن قاطع الرحم يُعاقب، وقد تكون العقوبة في نفسه، أو فيمن حوله: فيسوء تصرفه مع الناس؛ فيجهل على هذا، ويسب هذا، ويشتم هذا بما يجر عليه شرًا وسوءًا من الناس؛ فقد قال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ وَأَنْ تُعَجَّلَ عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يُدْخَرُ لِصَاحِبِه يَوْمَ القِيَامَةِ مِنَ البَغْيِّ، وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ**»

❏★❏★❏

الخصال المحمودة في صلة الرحم

١- فيها رضا الله تعالى.

٢- إدخال السرور عليهم.. وفي الحديث: «وَأَحَبُّ الأَعْمَالِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ سُرُورٌ تُدْخِلَهُ عَلَى مُسْلِمٍ»[1].

٣- فيها حُسن الثناء من المسلمين عليه.

٤- فيها إدخال الغم على إبليس عليه لعنة الله.

٥- زيادة في العمر: بالبركة فيه.

٦- بركة في الرزق.

٧- زيادة في المودة، لأنه إذا وقع له سبب من السرور والحزن يجتمعون إليه، ويعينونه على ذلك، فيكون له زيادة في المودة.

٨- زيادة الأجر بعد موته، لأنهم يدعون له بعد موته كلما ذكروا إحسانه[2].

أخي الحبيب:

وأعلم أن أدني صلة لرحمك... أن تُلْقي عليه السلام كلما لقيته، مع وجوب كفّ لسانك عن عوضه، والثناء والدعاء كلما ذكرت.

قال ﷺ: «صِلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلَامِ»[3].

---

(١) صحيح: الطبراني وغيره، وانظر الصحيحة برقم (٩٠٦).

(٢) انظر صلة الأرحام (٤٦، ٤٧) باختصار.

(٣) حسن: أخرجه القضاعي في مسند الشهاب، وانظر الصحيحة (١٧٧٧).

فوائد صلة الرحم في الدنيا

قدَّر العرب أهمية القرابة؛ لأن مجتمعهم يقتضي ذلك، فالأقرباء لحمة الأسرة، وصلة القبيلة، وحث الدين على صلة الرحم، وشدّد وأكد.

وكان الناس يقدرون من يصل الرحم، وينتقدون من يتراخي في ذلك، وفوائد ذلك:

رضي في النفس، وعزة عند الناس، ولابد لمن وصل رحمه أن يرى أثناء حياته ثمرة هذا الوصل، في أنه يجد وقت الحاجة من يقف بجانبه، يدرأ عنه خطرًا وقع أو يوشك أن يقع، ويواسيه، ويزيل أسباب الضيق، فيشعر أنه ليس وحيدًا في مجتمعه، وخلاف ذلك المقصر في حق أقربائه ، والمتراخي فيما عليه من واجب نحوهم، عندما يجور عليه الزمان لا يجد بجانبه من يخفف عنه ثقل النازلة، أو يحمل معه من نوب الزمن[١] .



---

(١) المجلة العربية العدد ٢٩٦ (٦٥)

الدعوة العائلية
(دعوة ذي الأرحام)

مقام الدعوة إلى الله مقام عظيم، وكلما بعد الناس عن هدي الكتاب والسنة، واكتنفتهم البدع والأهواء والمعاصي والمخالفات احتاجوا إلى الدعوة المباركة التي تحيي القلوب حتى تتحقق العبادة لله وحده لا شريك له، وقد أوجب الله سبحانه وتعالى الدعوة على رسوله في قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾[النحل: ١٢٥].

ووصف خيرية هذه الأمة بدعوتها إلى ربها بقوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾[آل عمران: ١١٠].

وجعل أحسن الأقوال الدعوة إلى الله فقال: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴾[فصلت: ٣٣].

وقال رسول الله ﷺ: «لأَنْ يَهْدِيَ الله بكَ رَجُلا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ حُمُرِ النَّعَمِ»[١].

والآيات والأحاديث في فضل الدعوة إلى الله كثيرة جدًا، وأولى الناس بالدعوة هم الأقارب الذين تربطنا بهم صلة الدم والنسب، وقد أوجب الله دعوة الأهل والأقارب والأرحام في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ ﴾[التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[الشعراء: ٢١٤].

---

(١)صحيح: البخاري في كتاب الجهاد والسير - باب فضل من أسلم على يديه رجل (٤/ ٢٠)

ودعوة الأقارب والأهل والأرحام من الصلة والبر، بل إن الدلالة على الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أبر البر والإحسان، والدعوة العائلية تؤدي إلى استقامة الأقارب، والتخلص من المنكرات؛ مما يكون له مردود إيجابي على بيت الداعية وأطفاله.

والدعاة في جانب الدعوة العائلية على ثلاثة أحوال إلا من رحم الله:

١- رجل أغلق على نفسه مع مجموعة من الأقارب انتقاهم بعناية على أساس التوافق والانسجام، أو الاستجابة، وترك البقية بحجة عدم الاستجابة، وظن أنه معذور بذلك، وهذا ليس أسلوب أهل الجهد والجهاد في الدعوة.

٢- رجل مشغول بأمور دعوية خارج نطاق العائلة، وقد حصل له كثير من البرود في مواقفه وعلاقاته مع الأقارب من الناحية الدعوية، وهذا نسيَ حقًّا مهمًا من حقوق أرحامه عليه، وقصر كثيرًا معهم.

٣- رجل له نشاط دعوى في عائلته، ولكنه نشاط يتم بطريقة عشوائية، دون تخطيط ومتابعة.

بعض وسائل الدعوة العائلية:

١- التنسيق بين مجموعة من الأخيار في العائلة، وإقناعهم بفكرة الدعوة العائلية، ومن ثم تنظيم الأفكار، ووضع خطط الدعوة، ولابد من التعاون في هذا المجال.

٢- تمثيل القدوة الحسنة في أمور الدنيا والدين؛ فلن يتقبل الناس الدعوة من شخص فاشل في حياته العملية، أو العلمية، أو من شخص لديه قصور ظاهر في أمور الدين، ونتخذ من محمد ﷺ قدوة لنا: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب: ٢١]

٣- توثيق الصلة مع الأقارب، وكسب مودتهم، وإتقان فن التعامل معهم حتى يشعر كل فرد بأن له علاقة خاصة بالداعية، وهذا لا يعني النفاق والابتذال، ولكن علاقة صادقة، ومودة خالصة، ومبادئ ثابتة.

٤- إقامة لقاء دوري للعائلة؛ وذلك لزيادة الألفة والمحبة، وتوطيد أواصر المودة، وتحقيق صة الرحم، كما أن مثل هذه اللقاءات توفر وقت الداعية؛ حيث يمكنه القيام بواجب صلة الرحم في وقت واحد.

٥- الإحسان إلى أفراد العائلة، ومشاركتهم في أفراحهم وأحزانهم، ومساعدتهم فيما يحتاجون إليه، وإحياء معالم التكافل الأسرى بين أهل اليسار في العائلة والمحتاجين منهم، ويستحسن أن يقوم الداعية بتلمس احتياجات أفراد العائلة، والمبادرة بمساعدتهم قبل أن يطلب منه ذلك، مع الحذر من التطفل عليهم في أمورهم الخاصة.

أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم فطالما استعبد الإنسان إحسان

٦- حصر المخالفات الشرعية الموجودة في العائلة؛ وذلك للتركيز عليها، وإصلاحها تدريجيًا بالحكمة، والأساليب المناسبة.

٧- الاهتمام بالأطفال والمراهقين؛ فقد قال أحد الحكماء: أكرم صغارهم يكرمك كبارهم، وينشأ على محبتك صغارهم. ويكون ذلك بإعداد أنشطة خاصة بالصغار والمراهقين تراعي سنهم وميولهم، ويمكن القيام بالرحلات، وتنظيم ذلك للخروج بأكبر فائدة.

٨- الزيارات المنزلية لأفراد العائلة؛ وذلك لما فيها من محبة، ورفع الكلفة، وتعميق الروابط.

٩- تقديم الهدايا لأفراد العائلة، والتودد لهم؛ لما للهدية من تأثير عجيب في تأليف القلوب، وترويض النفوس المستعصية، وتحبب الداعية إلى الناس، يقول الرسول ﷺ: «تَهَادُوا تَحَابُوا تَذهَبُ الشَّحْنَاءُ».

١٠- إنشاء مجلة أسرية مختصة بالأسرة فقط تحوى جملة من الفوائد والوقفات التربوية، والطرائف المنوعة، ويركز فيها على عرض أخبار الأسرة، وتوزع في لقاءات الأسرة الدورية.

١١ ـ الاستفادة من بعض العادات والتقاليد الموروثة غير المخالفة للشرع لدى بعض الأسر، واستثمارها في المجال الدعوي: نحو زيارة المتزوج حديثًا، أو القادم من سفر بعيد، وتقديم هدية لهذا الشخص؛ فحبذا لو أضيف لهذه الهدية المادية مجموعة من الأشرطة والكتيبات، والنشرات الدعوية.

١٢ـ الاهتمام بتأمين الدعم المادي لإنجاح المشروع الدعوى العائلي؛ فبدون ذلك لا يمكن الاستمرار في إيجاد الحوافز: كالهدايا، وجوائز المسابقات.

١٣ـ التقييم الدوري المستمر لجميع النشاطات والبرامج الدعوية ليتم معرفة آثار هذه الأنشطة والبرامج الدعوية، واكتساب المزيد من الخبرة عن طريق النقاشات الجادة، ومعرفة الاحتياجات، كما يمكن توزيع بعض الأشرطة والكتب التربوية، أو الخاصة بالدعوة على المتعاونين في البرنامج الدعوى العائلي، والثناء عليهم، وتشجيعهم، وخاصة المحسنين منهم.

١٤ـ الحرص على إيجاد صندوق التكافل العائلي: يكون الاشتراك فيه ضمن أسس متفق عليها، وتكون مهمة القائمين على هذا الصندوق متابعة أوضاع العائلة واحتياجاتها مثل:

أـ الشاب الذي يريد الزواج ومساعدته.

بـ الفقراء في العائلة، أو من تحمل دينًا، ومساعدته بأسلوب يحفظ له كرامته.

١٥ـ الاستفادة من التجمعات العائلية: سواء اللقاء الدوري، أو المناسبات الطارئة، مع الحذر من المبالغة المنفرة، ويكون ذلك بعدد من الوسائل منها:

أـ مساعدة صاحب المناسبة بالسعي في إجراءات الوليمة، ودعوة الضيوف، وكل ما يمكن القيام به من خدمة.

بـ توزيع شريط أو كتيب أو ورقة مفيدة أثناء اللقاء، والحرص على ذلك.

جـ توزيع الفتاوى المهمة التي تهم عموم الأسر، أو انتقاء بعض المقاطع المناسبة من كتب أهل العلم وتوزيعها.

د- دعوة بعض العلماء أو طلبة العلم في المناسبات العائلية لإفادة الحاضر بين في ما يهمهم في أمور دينهم ودنياهم.

هـ- إعداد المسابقات الثقافية المناسبة لجميع فئات العائلة لاستغلال الوقت في هذه اللقاءات لرفع المستوى الثقافي لأفراد العائلة، كما يمكن توزيع كتيب أو شريط مع بعض الأسئلة بحيث يقرأ الكتيب، أو يسمع الشريط، ويجيب على الأسئلة.

و- الحديث عن أحوال المسلمين، وأخبار العالم الإسلامي حتى تشترك العائلة في معرفة واقع المسلمين، وما يحتاجون إليه، وحثهم على دعمهم، والدعاء لهم.

ح- التذكير والحث على مجالات الخير المنتشرة: كالمحاضرات والخطب والندوات، والإعلان عنها، والتعريف بالأشرطة الجيدة، وأماكن وجودها، كما يمكن الإعلان عن وسائل الترفيه المفيدة، وأماكن التسوق المفضلة.

ط- تعريف الأقارب بالأماكن التي يجب تجنبها والابتعاد عنها: كالحدائق المختلطة، وأماكن الطرب والمجون.

ى- طبع أسماء وهواتف أفراد العائلة بشكل جذاب، وتوزيعها للمساهمة في صلة الرحم.

ك- استخدام القصص والحكايات الواقعية المؤثرة للدعوة، وسردها في هذه اللقاءات.

م- تشجيع الآباء لإلحاق أبنائهم في النشاطات الخيرية: مثل تحفيظ القرآن في المساجد، والمراكز الصيفية.

ن- محاولة التأثير على الكبار وأصحاب الوجاهة في العائلة، وكسب تأييدهم لمشاريع الدعوة العائلية من بدايتها؛ وذلك لكي يستفاد من مكانتهم في تقوية الدعوة العائلية، أو على الأقل حتى لا يكونوا معارضين لها.

١٦- الدعاء والتوجه إلى الله، وطلب عونه جل وعلا، والدعاء لأفراد العائلة بالصلاح والهدى، يقول النبي ﷺ: **«دَعْوَةُ الأَخِ لأَخِيهِ بظَهْرِ الغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ: كُلَّمَا دَعَا بخَيْرٍ قَالَ المَلَكُ المُوَكَّلُ بهِ: آمِينَ، وَلَكَ بمِثْلٍ»**[(١)] .

(١) اخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء - باب فضل الدعاء للمسلمين بظهر الغيب رقم(٢٧٣٣) .

هذه الوسائل وغيرها تساعد على نجاح الدعوة العائلية، مع ضرورة الاهتمام بالإخلاص له تعالى، وإيمان الداعية بما يدعو إليه، والعمل به، ويبتعد عما ينهي عنه قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وكذلك عدم اليأس، واستعجال النتائج، وضرورة التعقل، وبعد النظر؛ فأي مجتمع لا يقبل أن ينتقل من وضع معين ألفه لفترة طويلة إلى وضع جديد دفعة واحدة، ولكنه يقبل التدرج في التغيير.

ويجب أن يعلم الداعية حال من يدعو؛ لأن الناس يختلفون في مدي تقلبهم للدعوة؛ فأحيانا يكون من منهج الدعوة النصح والإرشاد، وعدم البدء بالحديث عن المنكرات، أو المخالفات الموجودة في العائلة، وعدم طرح مواضيع غير مناسبة، أو تصطدم بواقع الموجودين، حتى لا يحدث نفورًا عند المدعوين.

وكذلك يجب التركيز على بناء العقيدة، وتثبيت الإيمان؛ لأنها الأساس والأهم:

عدم التعالي، أو الظهور بمظهر العالم أو الأستاذ لكي لا يثير المدعوين، وخصوصًا كبار السن منهم، والحرص على المظهر الحسن؛ فليس من الدين في شيء أن يكون الداعية رث الثياب، قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ»**(١).

مع العناية بجانب الوعظ والرقائق، والترغيب والترهيب، وتعظيم الله في القلوب، وربط المدعوين بالقدوات الصالحة من السلف، وبيان محاسن الإسلام، وجوانب الإعجاز في تشريعه.

استخدام التوجيه غير المباشر، وعدم المواجهة بالعتاب؛ حيث يقوم الداعية بالتوجيه دون أن يعلم المدعوين من المقصود بهذا التوجيه؟ وهذا منهج نبوي: حيث كان ﷺ حين ينكر على أصحابه بعض الأعمال يقول: **«مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَفْعَلُونَ كَذَا وَكَذَا»**، وبهذا الأسلوب يتفادى الداعية التصادم، أو إثارة الرفض والاستعلاء لدى المدعو.

---

(١) سنن الترمذي (٢٨٢٠٩) وسنده حسن.

الصبر، وسعة الصدر، واحتمال الأذى؛ لأن من يتصدى للدعوة إلى الله لابد أن يناله أذى وابتلاء من الله سبحانه وتعالى، وهذا هو طريق الأنبياء والرسل، وكل من قام بهذه المهمة العظيمة يقول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا ۚ وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ۚ﴾ [الأنعام: ٣٤].

ولابد أن يعلم الداعية أن الفشل يكون أحيانًا هو طريق النجاح، ولن يعدم أن يفتح أبوابًا أخرى بالمواصلة وعدم اليأس؛ فإذا فشلت بعض المشاريع فيجب التفكر في مشاريع أخرى، مع الاستفادة من التجارب السابقة.

واعلم أنك من خلال هذه الدعوة العائلية لن تخسر شيئًا قط، بل سوف تستمتع بذلك، وسوف تجد السرور والطمأنينة في قلبك، وهما عاجل بشرى المؤمن، وسوف يهبك الله تعالى من السعادة والتوفيق - حتى في أمورك الدنيوية - ما لا تحتسب، ومع ذلك فإنه يجب عليك أن تعلم أن الدنيا ليست هي دار الجزاء، وإنما هي دار الكد والعمل، أما جزاؤك فتنتظره في الدار الآخرة عند الله[١].



(١) بتصرف من كتاب الدعوة العائلية - لحجاج بن عبد الله العريني.

كيفية صلة الرحم مع أصحاب المعاصي

يخطئ بعض الناس في فهم كيفية صلة الرحم مع أصحاب المعاصي، فيظنون أن صلة الرحم معهم تقتضي التحابب والتوادد معهم، ومجالستهم ومؤاكلتهم ومداهنتهم، وهذا ليس بصحيح.

من المعروف أن الإسلام لا يمنع من الإحسان إلى الأقارب من أهل المعاصي، بل حتى إلى الكفار كما دل على ذلك قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]

وكما دل عليه حديث استفتاء أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما رسول الله ﷺ عن صلة أمها المشركة، فقد جاء فيه: قلت: إن أمي قَدِمتْ وهي راغبة(١)، أفأصل أمي؟، قال ﷺ: «نعم، صِلِي أمَّكِ»(٢).

لكن لا يعني هذا التحابب والتوادد مع أهل الكفر والمعاصي، ومجالستهم ومؤاكلتهم ومداهنتهم أثناء فعلهم للمعصية.

يقول الله عز وجل: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ(٣) مَنْ حَادَّ اللَّهَ

---

(١) قال الحافظ ابن حجر: وفي رواية «جاءتني راغبة راهبة»، والمعنى أنها قدمت طالبة بر ابنتها، خائفة من ردها إياها خائبة، هكذا فسره الجمهور. فتح الباري (٥/ ٢٣٤).

(٢) روى الحديث الإمام البخاري: (انظر: صحيح البخاري، كتاب الهبة، باب الهدية للمشركين..)، رقم الحديث ٢٦٢٠ (٥/ ٢٣٣).

الإمام الخطابي: «فيه أن الرحم الكافرة توصل من المال ونحوه، كما توصل المسلمة» (نقلاً عن فتح الباري (٥/ ٢٣٤).

(٣) يوادون: يحبون ويوالون. تفسير القرطبي (١٧/ ٣٠٧).

وَرَسُولَهُۥ[1] وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ[2] ﴾ [المجادلة: ٢٢]

ومعنى هذه الآية الكريمة – كما ذكر الإمام الرازي –: أنه لا يجتمع إيمان مع وداد أعداء الله، وذلك أن من أحب أحدًا امتنع أن يحب مع ذلك عدوه[3].

واستدل الإمام مالك رحمه الله بهذه الآية على معاداة القدرية وترك مجالستهم[4].

وقال الإمام القرطبي تعليقًا على استدلال الإمام مالك:

وقلت: وفي معنى أهل القدر جميع أهل الظلم والعدوان[5].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير الآية الكريمة:

أي لا يوادون المحادين، ولو كانوا من الأقربين[6].

بل إن صلة الرحم مع أولئك في بذل السعي لمنعهم من الاقتراب من النار، والتباعد عن الجنة، وإذا اقتضت المصلحة لتحقيق هذا الهدف الأسمى، والغاية العظمى مقاطعتهم فتكون المقاطعة آنذاك هي صلة الرحم[7].

وفي هذا يقول الإمام ابن أبي جمرة:

فإن كانوا كفارًا أو فجارًا فمقاطعتهم في الله هي صلتهم، بشرط بذل الجهود في وعظهم، ثم إعلامهم إذا أصروا أن ذلك بسبب تخلفهم عن الحق، ولا يسقط مع ذلك صلتهم بالدعاء لهم بظهر الغيب أن يعودوا إلى الطريقة المثلى[8].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ﴾[المائدة: ٥٥].

---

(١)من حاد الله ورسوله: أي شاقهم، وخالف أمرهم. تفسير القاسمي (١٦/ ٨٩)

(٢)عشيرتهم: عشيرة الرجل قبيلته التي يجتمع معهم في جد غير بعيد. التحرير والتنوير (٢٨/ ٦٠)

(٣)التفسير الكبير (٢٩/ ٢٧٦) وانظر أيضًا: فتح القدير (٥/ ٢٧٢)

(٤)انظر أحكام القرآن لا بن عربي (٤/ ١٧٦٣) وتفسير القرطبي (١٧/ ٣٠٧)

(٥)المرجع السابق (١٧/ ٣٠٧) وانظر أيضًا: تفسير التحرير والتنوير (٢٦/ ٨٠)

(٦)تفسير ابن كثير (٤/ ٣٤٧)

(٧)مفاتيح الرزق – فضل إلهي (٦٠ – ٦٣)

(٨)نقلاً عن تحفة الأحوذي (٦/ ٣٠)

فضل صلة الرحم الظالم

عن البراء بن عازب ﷺ قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: علمني عملاً يدخلني الجنة.

فقال ﷺ: «لَئِنْ كُنْتَ أَقْصَرْتَ الخُطْبَةَ لَقَدْ أَعْرَضْتَ المَسْأَلَةَ: أَعْتِقِ النَّسَمَةَ، وَفُكَّ الرَّقَبَةَ».

فقال: يا رسول الله، أوليستا بواحدة؟

فقال ﷺ: «لا، إِنَّ عِتْقَ النَّسَمَةِ أَنْ تُفْرِدَ بِعِتْقِهَا، وَفَكُّ الرَّقَبَةِ أَنْ تُعِينَ فِي عِتْقِهَا، وَالمَنِيحَةُ الوَكُوفُ[١]، وَالفَيْءُ عَلَى ذِي الرَّحِمِ الظَّالِمِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَأَطْعِمْ الجَائِعَ، وَاسْقِ الظَّمْآنَ، وَأْمُرْ بِالمَعْرُوفِ، وَانْهَ عَنْ المُنْكَرِ، فَإِنْ لَمْ تُطِقْ ذَلِكَ فَكُفَّ لِسَانَكَ إِلاَّ مِنْ خَيْرٍ»[٢].

وقال الفضل بن عبد الصمد لأبي عبد الله – أحمد بن حنبل رحمه الله –: رجل له إخوة وأخوات بأرض غصب: ترى أن يزورهم؟

قال: نعم يزورهم ويراودهم على الخروج منها، فإن أجابوا، وإلا لم يقم معهم، ولا يدع زيارتهم[٣].



---

(١) المنحة الوكوف: غزيرة اللبن.

(٢) رواه الإمام أحمد في مسند الكوفيين، حديث البراء بن عازب.

(٣) الآداب الشرعية(١/ ٤٥٢).

قطيعة الرحم

قطيعة الرحم صرمها، وعقها، وترك وصلها:

قال ابن منظور رَحِمَهُ اللَّهُ:

والقطع والقطيعة الهجران ضد الوصل، والفعل كالفعل، والمصدر كالمصدر، وهو على المثل، ورجل قطوع لإخوانه، ومِقْطَاعٌ: لا يثبت على مؤاخاة.

وتقاطع القوم: تصارموا، وتقاطعت أرحامهم: تَحَاصَّتْ.

وقطع رحمه: قطعًا وقطعية، وقطعها: عقها، ولم يصلها.

ورجل قُطَعَةٌ، قُطَعٌ، ومِقْطَعٌ، وقَطَّاعٌ: يقطع رحمه[1].

إن قطيعة الرحم ذنب عظيم، وجرم جسيم، وكبيرة من كبائر الذنوب التي توعد الله القويُّ العزيزُ مرتكبَها بألوان من الوعيد والعقوبات العاجلة والآجلة في الدنيا والآخرة.

فقاطع الرحم مقطوع من الله تعالى، ومن قطعه الله جل وعلا فأي خير يرجوه، وأي شر وسوء يأمن منه في عاجل أمره وآجله مادام متصفًا بقطيعة الرحم؟

فقطيعة الرحم تفصم الروابط، وتقطع الشواجر، وتبعث على التناحر، وتشيع البغضاء والشنآن وقطعية الرحم مزيلة للألفة والمودة، مؤذنة باللعنة وتعجيل العقوبة، مانعة من نزول الرحمة، ودخول الجنة.

وهي سبب للذلة والصغار، والتوحد والانفراد، وهي مجلبة للهم والغم، ذلك أن البلاء إذا أتاك ممن تنتظر منه الخير والبر والصلة كان ذلك أشد وقعًا في قلبك، لأن ظلم القريب أنكى وأمضُّ كما قال طرفة بن العبد في معلقته المشهورة:

---

(١) لسان العرب لابن منظور (٨/ ٢٧٩- ٢٨٠)، مادة قطع.

وظلم ذوي القربى أشــد مضاضة   على المرء من وقع الحســام المهند[١]

فقطيعة الرحم – والعياذ بالله – من أسباب طمس القلوب، وعمي البصائر، والحرمان من العلم النافع، بل ومن كل خير، فقاطع الرحم عيشه نكيد – حتى وإن حاز على الدنيا بأسرها – وصفوه كدر، وحياته نصب، فلا أحد يحبه، ولا أحد يذكره، وإذا ذكر فبالحديث السيئ، والصفات القبيحة.

ومن مظاهر قطيعة الرحم قلة التعارف بين الأرحام، وفي ذلك مخالفة لقول النبي ﷺ: «تَعَلَّمُوا مِنْ أَنْسَابِكُم مَا تَصِلُونَ بِهِ أَرْحَامَكُمْ»[٢].

تعرفوا من أقاربكم من ذوي الأرحام ليمكنكم صلة الرحم، وهي التقرب لديهم، والشفقة عليهم[٣].

ومن مظاهر قطيعة الرحم هجرهم عند قلة المال، وضيق ذات اليد، وهذا من وساوس الشيطان.

والنبي ﷺ يقول: «بُلُّوا أَرْحَامَكُمْ وَلَوْ بِالسَّلامِ»[٤].

– ومن مظاهر قطيعة الرحم التخلي عنهم، والتكبر عليهم عند سعة المال والرزق، والعياذ بالله.

❑★❑★❑

---

(١) ديوان طرفة بن العبد ص (٣٦) ، والشاعر: هو طرفة بن العبد نشأ يتيمًا، وأخذ عمه ميراثه وميراث أخيه؛ وظل يطلبه لكن عمه أبى، وكان يؤذيه ويحرض عليه القبيلة، وطرفة يحميه ويدافع عنه – كما ذكر ذلك في معلقته – ولما اشتد الأمر على طرفة ترك القبيلة ورحل؛ وكانت نهايته على يد عمرو بن هند ملك الحيرة – عامل كسرى، حيث وشى به الواشون عنده.

اللغويات: مضاضة: غصة وألمًا. الحسام: السيف الحاسم القاطع، المهند: المصنوع في الهند دليل جودته.

(٢) صحيح: السلسلة الصحيحة للألباني (٢٧٦) .

(٣) تحفة الأحوذي (٥/ ٣٩٠) .

(٤) السلسلة الصحيحة للألباني (١٧٧٧) .

مظاهر قطيعة الرحم

اختلف العلماء بأي شيء تحصل القطيعة للرحم.

فقال الزين العراقي: تكون بالإساءة إلى الرحم.

وقال غيره: تكون بترك الإحسان؛ لأن الأحاديث آمرة بالصلة ناهية عن القطيعة؛ فلا واسطة بينهما، والصلة نوع من الإحسان كما فسرها بذلك غير واحد، والقطيعة ضدها: وهي ترك الإحسان[١].

ولقطيعة الرحم مظاهر عديدة: فمن الناس من لا يعرف قرابته بصلة: لا بالمال، ولا بالجاه، ولا بالخلق تمضي الشهور، وربما الأعوام، ما قام بزيارتهم، ولا تودد إليهم بصلة، أو هدية، ولا دفع عنهم حاجة، أو ضرورة، أو أذية، بل ربما أساء إليهم بالقول أو الفعل، أو بهما جميًا.

والنبي ﷺ يقول: «**أَهَلُ الجَنَّةِ ثَلاَثَةٌ: ذو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ القَلْبِ لِكُلِ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٌ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذو عِيالٍ**»[٢].

ومن الناس من لا يشارك أقاربه في أفراحهم، ولا يواسيهم في أحزانهم، ولا يتصدق على فقيرهم، بل تجده يقدم غيرهم في الصلات الخاصة، التي هم أحق بها من غيرهم.

عن جابر ﷺ أنه قال: أعتق رجل من بني عُذرة عبدًا له عن دُبُر[٣]، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال: «**أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟**»، فقال: لا، فقال: «**مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِي؟**»، فاشتراه نعيم بن عبد الله العدوي بثمانمائة درهم، فجاء بها رسول الله ﷺ فدفعها إليه،

---

(١) سبل السلام (٤/ ٢٨٢).

(٢) صحيح: مسلم – كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (٢٨٦٥).

(٣) أي علق عتقه بموته.

ثم قال ﷺ: «ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ، فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا»(١)

- ومن مظاهر قطيعة الرحم أن تجد بعض الناس ممن آتاه الله علمًا ودعوة يحرص على دعوة الأبعدين، وهذا لا ينبغي؛ فالأقربين أولى بالمعروف، قال الله عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

- ومن مظاهر القطيعة تحزيب الأقارب، وتفريق شملهم، وتأليب بعضهم على بعض، نسأل الله لنا ولكم العافية.

وليست القطيعة فقط عدم الزيارة، ولكن هي عدم الصلة بالمال، وعدم النفع بالجاه، فهذه أنواع من الإيذاء.

❑★❑★❑

(١) متفق عليه.

خطورة قطيعة الرحم

فإلى هؤلاء الذين أطغاهم الثراء وأعماهم المال، وغرتهم كثرة النعم، وحملهم الاستغناء على الطغيان والإعراض، وقطع الأرحام.

قال تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ [محمد: ٢٢، ٢٣].

قال الشيخ عبد الرحمن السعدي عليه رحمة ربنا العلي:

وقوله تعالى: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾ أي فهما أمران: إما التزام لطاعة الله، وامتثال لأوامره، فثم الخير والرشد والفلاح، وإما إعراض عن ذلك، وتولي عن طاعة الله، فما ثم إلا الفساد في الأرض بالعمل بالمعاصي، وقطيعة الأرحام.

وقوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ﴾ أفسدوا في الأرض، وقطعوا أرحامهم.

﴿لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾ بأن أبعدهم عن رحمته، وقربوا من سخط الله.

﴿فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ﴾ أي: جعلهم لا يسمعون ما ينفعهم، ولا يبصرونه، فلهم آذان ولكن لا تسمع سماع إذعان وقبول، وإنما تسمع سماعًا تقوم به حجة الله عليها، ولهم أعين، ولكن لا يبصرون بها العبر والآيات، ولا يلتفتون بها إلى البراهين والبينات[1].

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٥].

قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ﴾ أي: بالقرآن: ﴿كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦، ٢٧].

---

(١) تفسير الكريم الرحمن (٧٨٨)

وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «لاَ يَدْخُلَنَّ الجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ».

فمن قطع أقاربه الضعفاء وهجرهم، وتكبر عليهم، ولم يصلهم ببره وإحسانه، وكان غنيًا وهم فقراء، فهو داخل في هذا الوعيد، محروم من دخول الجنة، إلا أن يتوب إلى الله ﷻ ويحسن إليهم [١].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إنَّ الرَحَمَ شُجْنَةٌ [٢] مِنَ الرَحْمَنِ، فَقَالَ اللهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ» [٣].

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حَتَى إذَا فَرَغَ مِنْ خَلْقِهِ قَالَتْ الرَحِمُ: هَذَا مَقَامُ العَائِذِ بِكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَهُوَ لَكِ»

قال رسول الله ﷺ: «فَاقْرَأُوا إنْ شِئْتُمْ ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾» [٤].

وفي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها واللفظ لمسلم قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرَّحِمُ مُعَلَقَةٌ بِالعَرْشِ تَقُولُ: مَنْ وَصَلَنِي وَصَلَهُ اللهُ، وَمَنْ قَطَعَنِي قَطَعَهُ اللهُ» [٥].

وأخرج أبو داود والترمذي وابن ماجه بإسناد صحيح من حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ تَعَالَى لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُنْيَا، مَعَ مَا يُدَخَرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِثْلَ البَغْيِّ وَقَطِيعَةِ الرَحِمِ».

---

(١) الكبائر للإمام الذهبي (٥٤)

(٢) قال الحافظ بن حجر رحمه الله وأصل الشجنة عروق الشجر المتشابكة.

(٣) صحيح: البخاري – كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله (٥٦٤٢)

(٤) صحيح: البخاري – كتاب الأدب، باب من وصل وصله الله (٥٦٤١) ومسلم – كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم، وتحريم قطيعتها (٢٥٥٤)

(٥) صحيح: مسلم – كتاب البر والصلة والآداب، باب صلة الرحم وتحريم قطيعتها (٢٥٥٥)

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «**إِيَّاكُمْ وَالشُّحَّ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالشُّحِ أَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا**»[1] سنن أبي دواد.

- وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْمٌ وَلا قَطِيعَةُ رَحِمٍ، إِلا أَعْطَاهُ الله بِهَا إِحْدَى ثَلاثٍ: إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِنْ مِثْلِهَا**»، قالوا: إذا نُكْثِرُ، قال: «**الله أَكْثَرُ**»[2] .

وعن عطاء بن زهير الأصنع العامري، عن أبيه قال: قلت لعبد الله بن عمرو: أخبرني عن الرحم؟

فقال: يبعثها الله يوم القيامة لها لسان فصيح، لا تكذب الله شيئًا، ولا يُكَذِّبُهَا، فإذا قالت: رب هذا وصلني، وصله الله وأكرمه، وإذا قالت: رب هذا قطعني، قطعه الله، ولا يسمع قولا.

فقلت: والله ما كل أرحامنا نستطيع أن نصل.

قال: فمن قصر عندنا تلك – أو قال معروفك – فلا يبلغني ما ذاك.

وعن علي بن الحسين رضي الله عنهما أنه قال لولده: يا بني لا تصحبن قاطع رحم؛ فإني وجدته ملعونًا في كتاب الله في ثلاثة مواضع.

ويقول جعفر الصادق لابنه: يا بني لا ترافق ثلاثة:

١- لا ترافق الفاجر فيعديك بالفجور.

٢- ولا ترافق قاطع رحم، فإنه ملعون في السماء، ملعون في الأرض.

٣- ولا ترافق البخيل، فإنه يبيعك أحوج ما تحتاج إليه.

---

(١) سنن أبي داود – كتاب الزكاة، باب في الشح(١٦٩٨) .

(٢) رواه الإمام أحمد.

وقال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٧] قال: إذا كان لك ذو قرابة فلم تصله، ولم تمش إليه برجلك فقد قطعته.

وسئل جعفر بن حبان: ما حق الرحم؟ قال: لا يحرمها، ولا يهجرها.

فماذا ينتظر قاطع الرحم؟!

هل ينتظر ثوابًا من الله ﷻ على قطيعة رحمه؟!

هل ينتظر ثناءً عطرًا من الناس؟!

هل ينتظر لين الجانب من الخَلْقِ؟!

كلا، بل فلينتظر عقابًا على قطع رحمه!

لينتظر لعنات على فساده في الأرض!

أما يخشى هذا القاطع أن يُصمه الله ويعمي بصره؟!

فلينتظر هذا القاطع جفاءً وغلظةً من الناس، ولينتظر انفضاضًا للناس من حوله لفظاظته، وغلظ قلبه، وليبشر بما يسوءه.

فليتق الله امرؤ في رحمه، وليصل ما قد قُطع، وليُعطي من قد منع وليستدرك ما قد فات.



أسباب قطيعة الرحم

١- الجهل:

فالجهل بعواقب القطيعة العاجلة والآجلة يحمل عليها، ويقود إليها.

كما أن الجهل بفضائل الصلة العاجلة والآجلة يُقْصِر عنها، ولا يبعث إليها.

٢- ضعف التقوى:

فإذا ضعفت التقوى، ورق الدين لم يبال المرء بقطع ما أمر الله به أن يوصل، ولم يطمع بأجر الصلة، ولم يخش عاقبة القطيعة.

٣- الحسد:

فهناك من يرزقه الله علمًا، أو جاهًا، أو مالا، أو محبة في قلوب الآخرين، فتجده يخدم أقاربه، ويفتح لهم صدره.

ومن هنا قد يحسده بعض أقاربه، ويناصبه العداء، ويثير البلبلة حوله، ويشكك في إخلاصه.

٤- الكبر:

فبعض الناس إذا نال منصبًا رفيعًا، أو حاز مكانة عالية، أو كان تاجرًا كبيرًا، تكبر على أقاربه، وأنف من زيارتهم، والتودد إليهم: بحيث يرى أنه صاحب الحق، وأنه أولى بأن يزار ويؤتى إليه.

٥- الانقطاع الطويل:

فهناك من ينقطع عن أقاربه فترة طويلة، فيصيبه من جراء ذلك وحشة منهم، فيبدأ بالتسويف بالزيارة؛ فيتمادى به الأمر إلى أن ينقطع عنهم بالكلية، فيعتاد القطيعة، ويألف البعد.

٦- العتاب الشديد:

فبعض الناس إذا زاره أحد من أقاربه بعد طول انقطاع أمطر عليه وابلاً من اللوم، والعتاب، والتقريع على تقصيره في حقه، وإبطائه في المجيء إليه.

ومن هنا تحصل النفرة من ذلك الشخص، والهيبة من المجيء إليه، خوفًا من لومه، وتقريعه، وشدة عتابه.

٧- التكلف الزائد:

فهناك من إذا زاره أحد من أقاربه تكلف لهم أكثر من اللازم، وخسر الأموال الطائلة، وأجهد نفسه في إكرامهم، وقد يكون قليل ذات اليد.

ومن هنا تجد أن أقاربه يُقصرون عن المجيء إليه، خوفًا من إيقاعه في الحرج.

٨- قلة الاهتمام بالزائرين:

وهذا من جملة الأسباب التي تورث القطيعة بين الأقارب، فمن الناس من إذا زاره أقاربه لم يبد لهم الاهتمام، ولم يصغ لحديثهم، بل تجده معرضًا مشيحًا بوجهه عنهم إذا تحدثوا، لا يفرح بمقدمهم، ولا يشكرهم على مجيئهم، ولا يستقبلهم إلا بكل تثاقل وبرود مما يقلل رغبتهم في زيارته.

٩- الشح والبخل:

فمن الناس من إذا رزقه الله مالاً أو جاهًا، تجده يتهرب من أقاربه، لا كبرًا عليهم، وإنما خوفًا من أن ينفتح الباب عليه من أقاربه، فيبدأون بالاستدانة منه، ويكثرون الطلبات عليه، أو غير ذلك.

وبدلاً من أن يفتح الباب لهم، ويستضيفهم، ويوسع عليهم، ويقوم على خدمتهم بما يستطيع إذا به يعرض عنهم ويصرمهم، ويهجرهم، حتى لا يرهقوه بكثرة مطالبهم.

وما فائدة المال أو الجاه إذا حرم منه الأقارب؟

قال زهير بن أبي سلمى، وما أجمل ما قال:

ومـن يـك ذا فضـل فيبخل بفضله   على قومه يُستَغْنَ عنـه ويُذْمَـمِ[١]

وما أجمل قول البارودي:

فـلا تحسبـن المـال ينفـع ربـه   إذا هـو لم تحمـد قِـراه العشائـر[٢]

ومما قيل في ذلك:

ومن ذا الذي ترجـو الأباعـد نفعـه   إذا كـان لم يصلح عليـه الأقـارب[٣]

والعجب كل العجب ممن يبخل على أقاربه وأهله بماله وهم قد جعلهم الله سبحانه وتعالى سببًا لما هو فيه الآن.

ثم يبذر وينفق على شهواته وشهوات زوجته وأولاده، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

١٠- عدم العدل في قسمة الميراث:

فقد يكون بين الأقارب ميراث لم يقسم: إما تكاسلاً منهم، أو لأن بعضهم عنده شيء من العناد، أو غير ذلك.

وكلما تأخر قسم الميراث، وتقادم العهد عليه شاعت العداوة والبغضاء بين الأقارب؛ فهذا يريد حقه من الميراث ليتوسع به، وهذا يموت ويَتْعَبُ من بَعَدَهُ في حصر الورثة، وجمع الوكالات حتى يأخذوا نصيبهم من مورثهم، وهذا يسيء الظن بهذا، وهكذا تشتبك الأمور، وتتأزم الأوضاع، وتكثر المشكلات؛ فتحل الفرقة، وتسود القطيعة، ورحم الله أمي، كان إذا ذكر لها مسألة الميراث كانت تقول: تذهب الأموال لتبقى الأرحام.

وهذا واقع لا شك فيه، فكم من مشاكل وخصومات بين الأرحام، ويمرض هذا ويموت هذا، فما أغنت أموالهم عنهم شيئًا، وتركوا الدنيا، وقد خسروا أطيب ما فيها: ألا وهي صلة الأرحام.

---

(١) ديوان زهير (٣١).

(٢) ديوان محمود سامي البارودي (٢/ ٩٧)

(٣) بر الوالدين للإمام الطرطوشي (١٧١)

١١- سوء الشراكة بين الأقارب:

فكثيرًا ما يشترك بعض الأخوة أو الأقارب في مشروع أو شركة ما دون أن يتفقوا على أسس ثابتة، ودون أن تقوم الشراكة على الوضوح والصراحة، بل تقوم على المجاملة، وإحسان الظن.

فإذا ما زاد الإنتاج، واتسعت دائرة العمل دب الخلاف، وساد البغي، وحدث سوء الظن، خصوصًا إذا كانوا من قليلي التقوى والإيثار، أو كان بعضهم مستبدًا برأيه، أو كان أحد الأطراف أكثر جدية من الآخر.

ومن هنا تسوء العلاقة، وتحل الفرقة، وربما وصلت الحال بهم إلى الخصومات في المحاكم، فيصبحون بذلك سُبَّةً لغيرهم، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾ [ص: ٢٤].

١٢- مخالفة الشرع في أمر الزواج والطلاق، خاصة بين الأقارب.

١٣- الاشتغال بالدنيا:

فمن جملة الأسباب الموجبة لقطيعة الرحم الاشتغال بالدنيا، واللهث وراء حطامها، فلا يجد هذا اللاهث وقتًا يصل به قرابته، ويتودد إليهم، وربما - للأسف الشديد - يكون ممن ينتسبون للدعوة والدعاة نسأل الله لنا ولهم العافية.

١٤- التكاسل عن الزيارة:

فمن الناس من تنأى به الديار، ويشط به المزار، فيبتعد عن أهله وأقاربه، فإذا ما أراد المجيء إليهم بعدت عليه الشقة، فتثبط عن المجيء والزيارة.

١٥- عدم القيام بحقوق الجار ذي القربى عند المجاورة.

١٦- قلة تحمل الأقارب والصبر عليهم:

فبعض الناس لا يتحمل أدنى شيء من أقاربه، فبمجرد أية هفوةٍ أو زلةٍ أو عتابٍ من أحد أقاربه تجده يبادر إلى القطيعة، أو الهجر.

١٧- نسيان الأقارب في الولائم والمناسبات:

فقد يكون عند أحد أفراد الأسرة وليمة، أو مناسبة ما، فيقوم بدعوة أقاربه: إما مشافهة، أو عبر رقاع الدعوة، أو عبر الهاتف.

وربما نسي واحدًا من أقاربه، وربما كان هذا المنسي ضعيف النفس، أو ذا نفسية متوترة، أو ممن يُغَلِّبُ سوء الظن، فيفسر هذا النسيان بأنه تجاهل له، واحتقار لشخصه، فيقوده ذلك الظن إلى الصرم والهجر.

١٨- كثرة المزاح:

فإن لكثرة المزاح آثارًا سيئة، فلربما خرجت كلمةٍ جارحة من شخص لا يراعي مشاعر الآخرين؛ فأصابت مقتلاً من شخص شديد التأثر، فأورثت لديه بغضًا لهذا القائل.

ويحصل هذا كثيرًا بين الأقارب، لكثرة اجتماعاتهم.

قال محمود الوراق:

تلقى الفتى يلقى أخاه وخدنه	في لحن منطقه بما لا يُغْفَرُ
ويقول كنتُ ممازحًا وملاعبًا	هيهات نارك في الحشا تتسعر
ألهبتها وطفقت تضحك لاهيًا	مما به وفؤاده يتفطر
أو ما علمت ومثل جهلك غالب	أن المزاح هو السباب الأكبر[1]

وقال ابن عبد البر رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقد كره جماعة من العلماء الخوض في المزاح، لما فيه من ذميم العاقبة، ومن التوصل إلى الأعراض، واستجلاب الضغائن، وإفساد الإخاء[2].

---

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح (٢/ ٢٢٤).

(٢) بهجة المجالس لابن عبد البر (٢/ ٥٦٩).

١٩- الوشاية والإصغاء إليها:

فمن الناس من دأبه وديدنه وعادته — عياذًا بالله — إفساد ذات البين، فتجده يسعى بين الأحبة لتفريق صفهم، وتكدير صفوهم، فكم تحاصت بسبب الوشاية من رحم، وكم تقطعت من أواصر، وكم تفرق من شمل.

وأعظم جرمًا من الوشاية أن يصغى الإنسان إليها، وما أجمل قول الأعشى:

ومن يطع الواشين لا يتركوا له صديقًا وإن كان الحبيب المقربا[(١)]

٢٠- سوء الخلق من بعض القرابات:

فبعض الزوجات - هداهن الله - لا تريد أن يشاركها في زوجها أحد من أقاربه، أو غيره، وتظن أن زوجها ملكًا لها فقط.

فلا تزال به: تنفره من أقاربه، وتثنيه عن زيارتهم وصلتهم، وتقعد في سبيله إذا أراد استضافتهم، وإذا استضافهم أو زاروه لم تظهر الفرح والبشر بهم.

وتناست هذه الزوجة أن صلة الرحم بين الزوجين وذويهما من أعظم الروابط النفسية والأخلاقية، ومن عوامل دوام العشرة التي يباركها الله ﷻ.

وغفلت هذه الزوجة أنها إذا تعالت على أهل زوجها وأوجدت حالة من الفرقة والخلاف الدائم بين الزوج وأهله فسوف تقع في تلك المشكلة عندما يتزوج أبناؤها، ويعاملها زوجاتهم نفس المعاملة التي كانت تعامل بها أهل زوجها، لأن الجزاء من جنس العمل.

وبعض الأزواج — هداهم الله — يسلم قياده لزوجته؛ فإن رضيت عن أقاربه وصلهم، وإن لم ترضَ قطعهم، بل ومنعهم من زيارته، وقد صل الحال أحيانًا إلى الطرد في وجود الزوج.

---

(١) ديوان الأعشى (٩).

يقول الشيخ محمد الصباغ حفظه الله:

إن على الزوجة الفاضلة أن لا تنسى منذ البداية أن هذه المرأة التي قد تشعر أنها منافسة لها في زوجها هي أم هذا الزوج، وأنه لا يستطيع أن يقبل إهانة توجه إليها، فإنها أمه التي حملته في بطنها تسعة أشهر، وأمدته بالغذاء من لبنها، ووقفت على الاهتمام به حياتها حتى أصبح رجلاً سويًا.

واعلمي أيتها الزوجة أن زوجك يحب أهله أكثر من أهلك، كما أنك أيضًا تحبين أهلك أكثر من أهله، فاحذري أن تطعنيه بازدراء أهله، أو انتقاصهم أو أذيته فيهم، فإن ذلك يدعوه إلى النفرة منك[١].

إن تفريط الزوجة في احترام أهل زوجها تفريط في احترامه، وإن لم يقابل الزوج ذلك بادئ الأمر بشيء، فلن يسلم حبه إياها من الخدش والنقص والتكدير.

إن الرجل الذي يحب أهله، ويبر والدته، إنسان صالح فاضل، جدير بأن تحترمه زوجته، وترجو فيه الخير[٢].

والزوجة التي تعتقد أنها بإيقاعها بين زوجها وأهله؛ ليفرغ لها وحدها، ويكون لأولاده وحدهم، امرأة ساذجة، تدفن رأسها في الرمال، غير صالحة ولا تقية، فيكفيها بهذا العمل معصية الله تعالى، وعونها زوجها على عقوق أهله، لا على برهم، فبئست الزوجة[٣].

٢١- التباهي والتفاخر بالأموال والدور:

والتناسي أنه ربما يكون هم السبب في ذلك الخير الذي قدره الله ﷻ، وأن الواجب بدلاً من التعالي والتفاخر والمباهاة أن يشركوا في هذا الخير حتى لا يكون في النفوس مجالاً للحقد والحسد.

---

(١) إلا منكوس الفطرة.

(٢) نظرات في الأسرة المسلمة.

(٣) هذه هي زوجتي (٧٢، ٧٣).

٢٢- ظلم الأقارب:

واستخدامهم في مصالحه الشخصية دون مراعاة لمصالحهم الشخصية، حتى إذا ما انتهى من تحقيق غرضه أغلظ إليهم بالقول والفعل، وتناسى أن الذي يربطه بهم أوثق وأشد من هذه المصلحة العابرة.



علاج قطيعة الرحم

١- معرفة فضل صلة الرحم ومكانتها.

٢- أن يستشعر خطورة هذا الذنب، وأنه مخالفة لأمر الله ﷻ ورسوله ﷺ، وأنه يعجل له العقوبة في الدنيا قبل الآخرة.

٣- أن يعلم أن قطيعة الرحم سبب للخراب والفرقة، وهذا ما يريده الأعداء (فرق تسد)، وبهذا ينتصرون.

٤- التأمل في سيرة النبي ﷺ، وكيف كان يعامل رحمه، ويصبر على آذاهم.

٥- التأمل في سير السابقين الواصلين لأرحامهم.

٦- عدم الخجل ممن انقطعت عن صلتهم لفترة طويلة.

٧- الجدية في إنشاء علاقات مع الأقارب.

ولله در القحطاني القائل:

واصل ذوي الأرحام منك وإن جفوا   فوصالهم خير من الهجران[1]

□★□★□

---

(١) نونية القحطاني (٨٤).

العلاج العملي لقطيعة الرحم

قال ﷺ: «لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِىءِ، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الذِي إِذَا قُطِعَتْ رَحِمَهُ وَصَلَهَا»(١)

وعن أبي هريرة ﷺ أن رجلا قال: يا رسول الله: إن لي قرابة أصلهم ويقطعوني، وأحسن إليهم ويسيئون إلى، وأحلم عنهم ويجهلون على.

فقال ﷺ: «لَئِنْ كُنْتَ كَمَا قُلْتَ، فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ المَلَّ، وَلاَ يَزَالُ مَعَكَ مِنَ الله ظَهِيرٌ عَلَيْهِمْ مَا دُمْتَ عَلَى ذَلِكَ»(٢).

وقول النبى ﷺ: «إِنْ كُنْتَ» يعنى كما تقول: «فَكَأَنَّمَا تُسِفُّهُمْ المَلَّ»، والمل: هو الرماد الحار، وتسفهم: يعنى تجعله فى أفواههم، والمعنى: أنك كأنما ترغمهم بهذا الرماد الحار عقوبة لهم.

«وَلاَيَزَالُ لَكَ مِنْ الله عَلَيْهِمْ ظَهِيرًا»، يعنى عون عليهم ما دمت على ذلك: أى تصلهم وهم يقطعونك.

أخى الحبيب:

فإن ابتليت بقريب يضمر لك العدواة، ويظهر البغضاء .. مع فقره وشدة حاجته.. فهو أولى بصدقتك!! إن عصى الله فيك فأطع الله فيه.. يضاعف الله لك الثواب.. ولعل صدقتك له، وإحسانك إليه يكون سببًا فى زوال عداوته، ودوام محبته!!

قال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٤]

---

(١) رواه البخاري.

(٢) سبق تخريجه.

الاعتبار (١)

كتاب صنفه الأمير أسامة بن منقذ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أورد فيه سيرته الشخصية، وذكر طفولته وصباه، فكان مما ذكره أن عمه سلطانًا لم يكن له أولا ولد ذكر، فخص أسامة بعطفه وعنايته ورعايته، ودربه على الفنون الحربية.

وعلى الجملة أنشأه تنشئة من يريد أن يجعل منه خلفًا له.

وكثيرة كانت المهمات الشخصية التى عهد السلطان بها لابن أخيه، من مثل رفقة زوجة عمه وأولادها، أما بعد أن رزق العم ولدًا يخلفه تغيرت وجهة نظره نحو ابن أخيه، والحسد أخد يعمل عمله فيه، مما جعل جدته تحذره من عمه، ثم رحل عن مسقط رأسه، ثم كان الجزاء من جنس العمل فما أغنى المال والجاه والسلطان عن قدر يحل بإنسان.

يودى الزلزال بحياة ابن عمه، وسائر آله فى شيزر، فيرثيهم أسامة الشاعر بقصيدة كلها شعور طيب:

لم يترك الدهر لى من بعد فقدهم ... قلبًا أجشمه صبرًا وسلوانا

فلو رأونى لقالوا مات أسعدنا ... وعاش للهم والأحزان أشقانا

لم يترك الموت منهم من يخبرنى ... عنهم فيوضح ما قالوه تبيانا

بادوا جميعًا وما شادوا فواعجبا ... للخطب أهلك عُمَّارًا وعُمْرانا

هذى قصورهم أمست قبورهم ... كذاك كانوا بها من قبل سكانا

إلى أن يقول:

بنو أبى وبنو عمى دمى دمهم ... وإن أرونى مناوأة وشنآنا

فهل من معتبر؟

الاعتبار (٢)

وهذه قصة امرأة قاطعة لأرحام زوجها، هدمت بيتها بيدها، استغلت طيبة زوجها وصبره عليها، وغرها سكوته عن تصرفاتها؛ فتمادت فى غيها ومعاملتها السيئة له، تروى هذه المرأة قصتها قائلة:

عندما تزوجت كنت فتاة جميلة صغيرة السن، وقد أنعم الله عليَّ بإنجاب عدد من الذكور، وكنت كلما رزقت صبيًّا تمتلئ نفسى زهوًا وغرورًا.

كان إنجاب الذكور يهبنى قوة وثقة، وزرع فى نفسى حب التسلط والسيطرة؛ فمعظم من كان حولى ينجبن الإناث فى الغالب، وأول إنسان اكتوى بنار جبروتى وغرورى هو زوجى المسكين، فقد رحت أستغل سماحته وصبره وطيبته معتمدة بذلك على أمرين: جمالى، ورصيدى العالى من الذكور، وكانت سياط غرورى وجهلى تلهب ظهر كل من حولى، لا أميز بين ذى رحم، أو قريب أو صديق، أو جار .. فعادانى الجميع وتحاشونى اتقاء شرى.

الأبناء يكبرون، وأنا أردد على أسماعهم قصة الزوج الفقير الظالم: والدهم الذى أذاقنى الأمرين فى مقتبل حياتى، وهو فى الواقع والحق أنه لم يكن كذلك، بل كان مثال الأب الطيب، والزوج الصبور إلا أنى كنت أظهر للأبناء أنه كان قاسيًا وظالمًا؛ لكى أستميل قلوبهم إليَّ، وعطفهم نحوى، وأغرس كراهية أبيهم فى قلوبهم، ولذلك كانوا ينظرون إلابعينى ولايسمون إلا بأذنى ولايضربون إلا بيدى، ولذلك تخرج من تحت يدى شباب جبارون قساة ظالمون، فاشلون فى حياتهم الدراسية، كارهون للناس حاقدون على والدهم، حتى وصل بهم الأمر إلى تهديده إن تسبب بإغضابى .

ومرت الأيام وشاء الله ﷻ أن ابتليت بمرض عضال احتجت فيه للمساعدة الخاصة فى كل شئونى، حتى الخاصة منها، وهنا لم أجد أمامى سوى زوجى الطيب.. الصابر، الذى لم يقصر فى خدمتى ومساعدتى، وإن كان يساعد مساعدة المكره المضطر بسبب

ما ذاق منى على مر الأيام، ولكن طيبته لم تجعل ذلك يمنعه من أداء واجبه نحوى، أما أبنائى الذكور الذين كنت أعتمد عليهم فقد خذلونى، وتركونى فى أحلك الظروف؛ بحجة أنهم مشغولون بعائلاتهم وشئونهم الخاصة، ولم ينفعنى منهم أحد.

- ها هو زوجى الآن يبحث عن امرأة تشاركه ما تبقى من أيام حياته، وتكون له سكنًا وعونًا ورحمة، وهذا من حقه.

وتقول: الحق أقول:

إننى نادمة أشد الندم على ما فات، وأقر بأننى كنت مخطئة إلى حد بعيد فى تصرفاتى ومعاملتى لزوجى وأبنائى، ولكننى من ناحية ثانية أحمل زوجي قدرًا من المسئولية، فقد كان حريًا به أن يوقفنى عند حدى، ويستخدم صلاحياته كزوج له شخصيته وحقوقه، فيأخذ حقوقه، ويعطينى حقوقى، دون أن يطغى أحدنا على الآخر، فقد كان عليه ألا يتركنى أتمادى فى غيى وغرورى، وفعل ما يحلو دون اعتبار لأحد...

ولو أفقت من حماقتى وطيشى فى الوقت المناسب لما صارت الأمور إلى ما صارت إليه.

بت أؤمن إيمانًا قاطعًا أن المرأة تفسد أكثر مما تصلح، وتضر أكثر مما تفيد، بل فى أكثر الأحيان لا يأت منها سوى الفساد والشر [١].

قلت: ومن هنا يبدأ الفساد، ويعم الظلم بين العباد، وتقطع الأرحام.

□★□★□

(١) المجتمع: العدد (١١٠٣) نقلا من كتاب كما تدين تدان.

أمثال خاطئة

- **إن كان لك قريب لاتشاركه ولاتناسبه.**

بزعم أن ذلك إبقاء على مودته، لأن المشاركة والمصاهرة لا يؤمن فيهما من الخلاف.

وأسوأ من ذلك قولهم:

- **خذ من الزرايب، ولا تأخذ من القرايب.**

أى تزوج فقيرة من سكان الأكواخ المشابهة لحظائر البهائم، ولا تتزوج من أقاربك.

- **بارك الله فى المرأة البعيدة، والزرعة القريبة.**
- **الحسد عند الجيران، والبغض عند القرايب.**

القرايب: الأقارب، والمراد كلا القربين فى الدار والنسب باعث على الحسد والبغضاء، وفى معنى الشق الأخير منه قولهم «العدواة فى الأهل».

- **لك قريب لك عدو.**
- **دخان القريب يعمى.**

كلها أقوال فاسدة تحض على القطيعة، وفقدان الثقة فى ذوى الأرحام، الذين أوصى الله بهم، قالوا فى عكسه: **آخذ ابن عمى، وأتغطى بكمى**

وقالوا: **نار القريب ولا جنة الغريب**

- **ما تيجى المصائب إلا من الأقارب.**

المصائب لاتأتى إلا من مخالطة الأشرار والعمل بالذنوب والمعاصى، فما نزل بلاء إلا بذنب، وما رفع إلا بتوبة، كما قال على ﷺ، والأقارب بشر: يخطئون ويصيبون، ولابد من العفو والصفح، وتسديد الأخطاء، بدلا من القطيعة والتناحر.

- **الأقارب عقارب.**

هذا مثل أحمق مضل، يحض على قطيعة الرحم التى أمر الله أن توصل، ويصطدم مع مبادئ الإسلام؛ حيث يقول الله تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [النساء : ٣٦].

فالمشروع أن نصل أقاربنا وإن قطعونا وآذونا.

- **انا وأخويا على ابن عمى:**

من الأمثال الفاسدة: أنا وأخويا على ابن عمى، وأنا وابن عمى على الغريب.

هذه عصبية جاهلية، والواجب على الإنسان إحقاق الحق، والتزام جانب العدل، والقيام لله بالقسط.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الحجرات : ١٠].

وهذا المثل من شأنه أن يقطع ما أمر الله به أن يوصل.

وفى الحديث النبوى «**لاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ تَقَاطَعُوا، وَكُونُوا عِبَادَ الله إِخْوَانًا**». متفق عليه[١].



(١) مستفاد من كتاب (احذر اقوال وأفعال واعتقادات خاطئة)(٢٢: ٢٥).

فتاوى مهمة تتعلق بصلة الأرحام

سئل الشيخ ابن جبرين حفظه الله:

لى أقارب: منهم من يترك الصلاة، ومنهم من يشرب الدخان؛ هل أتركهم؟

فأجاب: عليك أولا: النصح، وتكرار النصحية لهم، لعل الله أن يهديهم بواسطتك، ثم إذا مقتوك واستهزأوا بك، واحتقروا نصحك، ولم يقبلوا منك، فهناك ينبغى أن تقاطعهم، ولو كانوا أقارب، وإذا كررت النصح، وبقيت معهم عدة أيام، أو عدة أشهر، وما زادهم إلا عتوًا ونفورًا، بل احتقروك، وازدروا نصحك، ولم يتقبلوا منك؛ فلا بأس أن تقاطعهم.

ثم متى رأيت أنهم لانوا فيما بعد، أوظننت أنهم تابوا، أورجعوا، فإنك تعود إلى صلتهم، وعليك أيضًا أن ترسل من ينصحهم، أو تهدى إليهم نشرات، أو كتيبات، أو رسائل، أو أشرطة فيها شىء من المواعظ؛ لعل الله أن ينفعهم بذلك.

سؤال: هل يجوز أن يخرج زوجى عنى زكاة مالى؛ علمًا أنه هو الذى أعطانى المال؟ وهل يجوز إعطاء الزكاة لابن أختى- المتوفى عنها زوجها – وهو شاب فى مقتبل العمر، ويفكر فى الزواج؟

الجواب: الزكاة واجبة عليك فى مالك إذا كان عندك نصاب أو أكثر من الذهب، أو الفضة، أوغيرهما من أموال الزكاة، وإذا أخرجها زوجك بإذنك فلا بأس، وهكذا لو أخرجها عنك أبوك أوأخوك، أو غيرهما بإذنك فلابأس، ويجوز دفع الزكاة لابن أختك مساعدة له فى الزواج إذا كان عاجزًا عن مؤنته...

وفق الله الجميع لما يرضاه

(اللجنة الدائمة للبحوث والإفتاء)

وسئل الشيخ بن جبرين حفظه الله:

هل يجوز لى عدم زيارة بعض أقاربى إذا كان فى بيوتهم المنكرات: كالتلفاز، والفيديو، مما ابتلينا بهما فى الزمان؟

فأجاب: إذا كانوا عند زيارتك لهم يغلقون هذه الأجهزة، أويخفضون الصوت فلابأس بالزيارة، إذا كان فيها نفع.

أما إذا كانوا عند زيارتك لهم يرغمونك على مجالسهم، وفيها بعض المنكرات: كشرب الدخان، أو المسكرات، أو الأفلام الخليعة، أو الصور الفاتنة، وخشيت أن تفتن نفسك؛ فعليك أن تهجرهم، ويكون ذلك محبة منك، وحرصًا منك سلامة دينك وعرضك، والله أعلم[١].

سئل الشيخ صالح بن الفوزان حفظه الله:

ما حكم الرجل الذى يمنع زوجته من الذهاب إلى أهلها إذا كانوا يقومون بإثارة المشاكل، والتدخل فى حياة الزوجين؟

وما الحد الأدنى المطلوب من الزوجة لصلة رحمها.. وهل يكتفى بالرسالة والمكالمة فقط؟

فأجاب: نعم، يحق للرجل أن يمنع زوجته من الذهاب إلى أهلها إذا كان يترتب على ذهابها إليهم مفسدة فى دينها، أو فى زوجها.. لأن فى منعها من الذهاب فى الحالة درءًا للمفسدة.

وبإمكان المرأة أن تصل أهلها بغير الذهاب إليهم فى هذه الحالة، بل عن طريق المراسلة، أو المكالمة الهاتفية إذا لم يترتب عليها محذورًا؛ لقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن : ١٦] والله أعلم.

وقد جاء الوعيد الشديد فى حق من يفسد الزوجة على زوجها، ويخببها عليه، فقد جاء فى الحديث: «مَلْعُونٌ مِنْ خَبَبَ امْرَأَةٍ عَلَى زَوْجِهَا».

ومعناه أفسد أخلاقها عليه، وتسبب فى نشوزها عنه.

---

(١) حاجة البشر إلى الأمر بالمعروف ص (١٤٠، ١٤١).

والواجب على أهل الزوجة أن يحرصوا على صلاح ما بينها وبين زوجها؛ لأن ذلك من مصلحتها ومصلحتهم[(١)].

سئل الشيخ بن عثيمين رحمه الله:

تقدم لى أحد الأقارب، لكننى سمعت أن الزواج من الأباعد أفضل من حيث مستقبل الأطفال، وغيرذلك؛ فما رأيكم فى ذلك؟

فأجاب: هذه القاعدة ذكرها بعض أهل العلم، وأشار إلى ما ذكرت من أن للوراثة تأثيرًا فى خلق الانسان، وفى خلقته، ولهذا جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال:

يارسول الله: إن امرأتى ولدث لى غلامًا أسود. (يعرض بهذه المرأة: كيف يكون الولد أسود، وأبواه كل منهما أبيض؟!).

فقال له الرسول ﷺ: «**هَلْ لَكَ مِنْ إِبِلٍ؟**» قال: نعم، قال: «**فَمَا أَلْوَانُهَا؟**» قال: حمر؟، قال: «**فِيهَا مِنْ أَوْرَقَ؟**» قال: نعم ، قال: «**فَأَنَّى لَهَا ذَلِكَ؟**» قال: لعل نزعها عرق، فقال النبى ﷺ: «**ابْنُكَ هَذَا لَعَلَّهُ نَزَعَهُ عِرْقٌ**»[(٢)].

فدل هذا على أن للوراثة تأثيرًا ولاريب فى هذا، ولكن النبى ﷺ قال: «**تُنْكَحُ الْمَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا، وَحَسَبِهَا، وَجَمَالِهَا وَدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**»[(٣)] فالمرجع فى خطبة المرأة إلى الدين، فكلما كانت أدين، وكلما كانت أجمل فإنها أولى: سواء كانت قريبة أم بعيدة، وذلك لأن الملتزمة بدينها تحفظه فى ماله، وفى ولده وفى بيته، والجميلة تسد حاجته، وتغض بصره، ولايلتفت معها إلى أحد ... والله اعلم[(٤)].

قد كان عند العرب عرفًا زواج الأقارب، وكان مذمومًا جدًا زواج الأباعد، وجاء الإسلام فلم يبطله، ولكنه حدد مواصفات الزوج الصالح، والزوجة الصالحة. وقد تزوج

---

(١) كتاب الدعوة(٧/ ١٥٦)

(٢) متفق عليه.

(٣) متفق عليه.

(٤) كتاب الدعوة(٥)، (٢/ ٨٣-٨٤)

النبى ﷺ من ابنة عمته زينب بنت جحش ﵂، وأرادَ أن يتزو ج من ابنة عمه أم هانئ بنت أبى طالب ﵂ فاعتذرت لأنها امرأة كثيرة العيال، وتزوج على بن أبى طالب ﵁ من فاطمة ﵂ ابنة عمه ﷺ، وتزوج أبو العاص بن الربيع ﵁ من ابنة خالته زينب بنت النبى ﷺ، وتزوج عبد الله بن جعفر بن أبى طالب ﵁ من ابنة عمه زينب بنت على بن أبى طالب ﵁.

وما هذه إلا شبهة أراد بها أعداء الاسلام تقطيع أواصر المودة بدعوى العلم الحديث؛ فلينتبه لذلك[1].

سئل الشيخ بن عثيمين رحمه الله:

شاب يبلغ من العمر الثالثة والعشرين، متزوج على سنة الله ورسوله فتاة، وهي بنت عمه شقيق والده، وله فترة من الزواج تقارب الأربعة أشهر، ويسكن هو وزوجته في بيت أبيه، يقول: في ذات يوم حصل سوء تفاهم بين زوجي وأهلي، فذهبت زوجتي إلى بيت أبيها، وبعد ذلك طلبت مني زوجتي أن أستأجر شقة على قد الحال لنسكن أنا وهي وحدنا، ونبعد عن المشاكل، أو أن نسكن في بيت أبيها، بشرط أن لا تنقطع صلتي بأهلي أبدًا، وأن أسأل عنهم دومًا، فوافقت على ذلك الأمر، وعرضته على أهالي، ولكنهم رفضوا ذلك، وأصروا على أن أسكن عندهم.. هل على ذنب إذا خالفتهم على إصرارهم وسكنت أنا وزجتي في شقة في بيت أبيها؟

---

(١) وانظر في ذلك الكتاب القيم للشيخ الجليل/ على السالوس - حفظه الله: زواج الأقارب بين العلم والدين، والذى ذكر فيه أن حديث: «اغْتَرِبُوا لاَ تَضْوُوا» ليس من كلام النبى ﷺ، ولم يصح.

وذكر فيه رأى الأستاذ الدكتور أحمد الكبارتى، أستاذ علم الوراثة بجامعة الكويت الذى قال: إن هذا إعتقاد خاطئ. وذلك بنظريات حديثة تؤكد ذلك وقال: إنه نتيجة البحث العلمى فى مجتمع ينتشر فيه زواج الأقارب، وآخر يكثر فيه زواج الأباعد، وثالث يكثر فيه الزواج بين أجناس مختلفة، ثبت عدم وجود أى فرق بين هذه المجتمعات من ناحية انتشار الأمراض الوراثية.

وانتهى من ذلك إلى أن زواج الأقارب لا يشكل أية خطورة على الأجيال المتعاقبة.

زواج الأقارب بين العلم والدين (٤٧).

فأجاب: هذه المشكلة تقع كثيرًا بين أهل الرجل وزوجته، والذي ينبغي في مثل هذه الحال أن يحاول الرجل الالتئام بين زوجته وأهله، والائتلاف بقدر الإمكان، وأن يؤنب من كان منهم ظالمًا معتديًا على حق، وبوجه لبق ولين؛ حتى تحصل الألفة والاجتماع، فإن الاجتماع والألفة كلها خير.

فإذا لم يمكن الإصلاح والالتئام فلا حرج عليه أن ينعزل في مسكن وحده، بل قد يكون ذلك أصلح وأنفع للجميع حتى يزول ما في قلوب بعضهم على بعض، وفي هذه الحال لا يقاطع أهله، بل يتصل بهم.

ويحسن أن يكون البيت الذي ينفرد هو وزوجته قريبًا من بيت أهله حتى تسهل مراجعتهم ومواصلتهم، فإذا قام بما يجب عليه نحو أهله، ونحو زوجته، مع انفراده مع زوجته في مسكن واحد؛ بحيث تعذر أن يسكن الجميع في محل واحد فإن هذا خير وأولى[(١)].

سئل فضيلة الشيخ ابن جبرين:

حينما كنت عند أخي الكبير مع إخوتي جلسنا نتذكر بعض المواضيع، وفجأة، حصل خلاف بسبب موضوع عن تربية الأطفال، ثم قال لي أخي الأكبر: اخرج من بيتي، ثم بعد ذلك قام وضربني، وقام إخوتي كذلك لمساعدته في ضربي.

هل مقاطعتي لأخي الكبير وإخوتي بعد ضربي وإهانتي فيه إثم علي؟ وإذا كان علي إثم؛ فماذا أفعل وأنا حساس جدًا؟

فأجاب فضيلته: لابد أن يكون هناك أسباب حسية لهذا الضرب؛ فيمكن أنك أسأت الأدب معهم، أو عبتهم في تصرفهم، أو أحفظتهم بشيء من الانتقاد؛ مما نتج عنه أن ضربك أخوك الأكبر، وأعانوه لعلمهم أنك تستحق الضرب.

فإن كان الأمر كذلك فأرى أن ترجع إليهم معتذرًا، متنصلا مما بدر منك، مظهرًا للأسف والندم؛ فلعلهم أن يعذروك، ويعودوا إلى مقتضى الأخوة، ثم أرى حتى ولو

---

(١) نور على الدرب (٥٠-٥١).

كانوا خاطئين أن تراجعهم، وتبدي عذرك، وتقر بأنك أخطأت في حقهم، طالبًا منهم التغاضي عن الخطأ، ذاكرًا ما حملك على الكلام على وجه الاعتذار، مذكرًا لهم بحق القرابة، وذوي الأرحام، وأن من قطعها قطعه الله، فلعل ذلك يكون له الأثر البليغ.

والله الموفق

[مجموع فتاوى الشيخ ابن جبرين]

سئل: فضيلة الشيخ ابن عثيمين رحمه الله:

لي أختان متزوجتان من ابني عمهما، وقد حدثت خلافات بين الأسرتين أوجبت منع الزيارة، وامتنع أخي عن زيارة أختيه، وكذلك فعلت والدتي مجاملة له حتى لا يغضب منها؛ فما الحكم؟

فأجاب فضيلته: نعم عليهم في ذلك إثم، لأن قطيعة الرحم محرمة، وهي من كبائر الذنوب، والمراد بالرحم القرابة، وكلما قربت القرابة كانت صلتها أوجب وأوكد، ولا يجوز أن تقطع رحمها مجاملة لأحد، بل عليها أن تصل رحمها، وأن تقوم بما أوجب الله عليها، ثم إن رضي أحد بذلك فقد رضي بما أوجب الله، وهو خير له، وإن لم يرض فإنه لا عبرة بسخطه، وصلة الرحم واجبة، لا ينبغي أن تقطع مراعاة للناس، أو محاباة لأحد

[فتاوى إسلامية]

سئلت اللجنة الدائمة:

لي عمات شقيقات والدي، وعددهن ثلاث، وقد أجمعن كلهن على مقاطعتي بسبب إرث مشترك بيننا أردنَ بيعه، دون إذن مني، لكوني شريكًا لهن في ذلك الإرث، ودون أن يعرف أحد منا حقه، وفعلاً منعت المشترى، وأرجعت له ماله الذي دفعه لهن، وأنا لا أستفيد من ثمن هذه الأملاك، ولا أنتفع بأي شيء، وقد تركتها لهن وسافرت، وأريد أن يعشن بما تنتجه المزارع، ويسكن البيت على شرط ألا يتصرفن في

شيء، وأنا بعد أن قاطعنني عزلت نفسي عنهن، وبقيت وحدي، وأنا أخاف من قطع الرحم؛ حيث أكون معرضًا لعقوبة قاطع الرحم، فما الحكم؟

فأجابت: منعك لعماتك أن يبعن حقهن من ميراثهن من أبيهن ظلم وعدوان منك، فإن لكل واحدة منهن حق التصرف شرعًا فيما تملكه، وليس لأحد أن يمنعها من ذلك ما دامت أهلاً للتصرف شرعًا، وأما المقاطعة التي حصلت بينك وبينهن فأنت السبب فيها، فعليك أن تستغفر الله، وتتوب إليه من هذا الذنب العظيم، وأن تستسمحهن وتزورهن، فإن الله ﷻ أمر بصلة الرحم، فقال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ﴾ [النساء: ١]، وقوله تعالى: ﴿وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ﴾ [الإسراء: ٢٦]

وأجمع العلماء على أن صلة الرحم واجبة، وأن قطيعتها محرمة، وأخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِالله وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَصِلْ رَحِمَهُ ....» الحديث.

[فتاوى إسلامية]



اعتراضات وردود

- **صلة الرحم تكلفني، وتؤثر على أموالي.**

نقول: إن صلة الرحم ليست بالمال فقط، بل بمجرد الزيارة أو الاتصال، أو رسالة، أو كلمة طيبة، وكف الأذى.

وإذا فهمت حقوق صلة الرحم، فإنك تستطيع أن تصلها حتى وإن لم يكن معك مال.

- **أهلي يداومون على إيذائي، أنا لست ملكًا؛ إلى متى أتحمل أذيتهم؟**

نقول: اصبر واحتسب، وقد تقدم في علاج قطيعة الرحم حديث النبي ﷺ: «**لَيْسَ الوَاصِلُ بِالْمُكَافِيءِ، وَلَكِنَّ الوَاصِلَ الذِي إِذاَ قُطِعَتْ رَحِمَهُ وَصَلَهَا**» .

- **أولئك الناس يحاربون الله ورسوله، ويضغطون عليّ حتى أكون من العصاة.**

نقول: لا تطعهم في هذا، ولكن هذا لا يمنع أن لهم حق البر، قال تعالى: ﴿ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ﴾ [لقمان: ١٥].

ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فلا تشارك معهم في المعصية، ولكن لهم حق الصلة.

- **صلة الرحم تكلفني وقت، والوقت غالي.**

نقول: كل دقيقة تنفقها لك بها أجرٌ عند الله سبحانه وتعالى، ولك المثوبة، وهي ليست بضائعة، بل إن الله تعالى يبارك فيها.



الخاتمة

نسأل الله حسنها

صل رحمك يرحمك الله؛ فإن الجزاء من جنس العمل، قال ﷺ: «مَنْ قَطَعَ رَحِمًا، أَوْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ فَاجِرةٍ رَأَى وَابلةً قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ»[1]، وكن كأبي بكر ﷺ، وقد كان ينفق على مسطح بن أثاثة ﷺ لقرابته منه وفقره، فلما تأذى منه في حديث الإفك، فقال: والله لا أنفق على مسطح شيئًا أبدًا بعد ما قال لعائشة ما قال، فأنزل الله تعالى: ﴿ وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [النور: ٢٢].

فلما سمعها أبو بكر الصديق قال: بلى والله، إني لأحب أن يغفر الله لي فأرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله لا أنزعها منه أبدًا[2].

وكن واصل الأرحام حتى لكاشح ... تُوفَّرُ في عُمرٍ ورزقٍ وتسعدِ[3]

فإذا أردت أن يصلك الله فصل رحمك، وإذا أردت أن يقطعك الله فاقطع رحمك، ﴿ جَزَآءً وِفَاقًا ﴾ [النبأ: ٢٦]، وكلما كان الإنسان لرحمه أوصل كان الله له أوصل، وكلما قصر جاءه من الثواب بقدر ما عمل، لا يظلم الله أحدًا.

والعاق ليومه من أذهبه في غير حقّ قضاه، أو فرض أداه، أو حمد حصله، أو علم تعلمه، أو قرابة وصلها، أو خير أسداه.

فلا تكن من الغافلين الذين لا يعرفون أقاربهم إلا بعد مماتهم؛ فكم من قريب يتضور جوعًا، وقريبه يتقلب في النعيم ظهرًا لبطن!!

---

(١) السلسلة الصحيحة (١١٢١).

(٢) متفق عليه.

(٣) غذاء الألباب.

وكم من قريب يظل مريضًا سنوات طويلة بلا دواء ولا غذاء، وقريبه يرفل في النعيم!!

فالله الله في أرحامكم..... أرحامنا قرة أعماق قلوبنا:

ومن عجبٍ أني أحن إليهمو فاسأل عنهم من لقيتُ وهُم معي

وتطلبهم عيني وهم في سوادها ويشتاقهم قلبي وهُم بين أضلعي

فصل رَحِمَكَ رَحِمَكَ مولاك، وخالِف بذلك نفسك وهواك، واصبر على آذاهم فإن بذلك نبيك أوصاك، وبالغ في الإحسان إلى من أساء إليك منهم تُحَمدُ بذلك عقباك، وحسن أخلاقك معهم تُرضي خالقك، وتنل راحتك ويطيب مثواك.

أسأل الله لي ولكم أن يجعلنا ممن يصل أرحامه؛ ليصله الله في الدنيا والآخرة.

والله المسئول أن يوفقني وإياكم وجميع المسلمين والمسلمات لما فيه السعادة، وأن يرزقنا الحسنى وزيادة، وصلى الله وسلم على النبي الأواب، من جاء بالسنة والكتاب، وعلى آله وصحبه ما دجت الأحلاك، ودارت الأفلاك، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

وكتبه حامدًا مصليًا مستغفرًا

محمد بن عوض المصري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه

ولجميع المسلمين والمسلمات



□★□★□

المراجع

أ- التفسير:

١- تفسير الطبرى.

٢- تفسير القرطبى.

٣- تفسير ابن كثير.

٤- تيسير الكريم الرحمن عبد الرحمن بن ناصر السعدى

٥ - فتح القدير الإمام الشوكانى.

٦- التفسير الكبير فخر الدين الرازى.

٧- تفسير التحرير والتنوير.

ب- السنه:

١- فتح البارى بشرح صحيح البخارى.

٢- شرح صحيح مسلم الإمام النوى.

٣- تحفة الأحوذى شرح سنن الترمذى.

٤- سنن الترمذى.

٥- سنن أبى داود.

٦- سنن النسائى.

٧- سنن ابن ماجه.

٨- سنن الدارمى.

٩- مسند أحمد بن حنبل.

١٠- صحيح ابن خزيمة.

١١- معجم الطبرانى الأوسط.

١٢- معجم الطبرانى الكبير.

١٣- مجمع الزوائد الهيثمى.
١٤- صحيح الترغيب والترهيب الألبانى.
١٥- صحيح الجامع الصغير الألبانى.
١٦- السلسة الصحيحه الألبانى.
١٧- مشكاة المصابيح.
١٨- إرواء الغليل.
١٩- المستدرك للحاكم.
٢٠- السنن الكبرى للبيهقى.
٢١- الأدب المفرد للبخارى.
٢٢- رياض الصالحين بشرح ابن عثيمين.

جـ- الفقه:

١- المغني لابن قدامة.
٢ - سبل السلام - الصنعاني.
٣- حاجه البشر الى الأمر بالمعروف - ابن جبرين.
٤- فتاوى اللجنه الدائمة.
٥ - فتاوى إسلامية.
٦- مجموع فتاوى ابن جبرين.
٧- نور على الدرب - ابن عثيمين.

د- تاريخ وسير وتراجم.

١- الإصابه فى تمييز الصحابة - ابن حجر.
٢- الاستيعاب فى الأصحاب لابن عبد البر.
٣- الكامل لابن الاثير.
٤- سير أعلام النبلاء.
٥- البداية والنهاية لابن كثير.

٦- حلية الأولياء أبو نعيم الأصبهانى.
٧- الرحيق المختوم – صفى الرحمن المباركفوى.
٨- سيرة ابن هشام.
٩- هذا الحبيب يا محب أبو بكر الجزائرى.
١٠- الاعتبار لأسامه بن منقد.
١١- كما تدين تدان فؤاد بن سيد الرفاعى.

هـ- الرقائق:

١- زاد المعاد لابن القيم.
٢- نظرات في الأسرة المسلمة – محمد لطفي الصباغ.
٣ – هذه هي زوجتي – عصام الشريف.
٤- بهجة المجالس ابن عبد البر.
٥- بهجة قلوب الأبرار السعدى.
٦- غذاء الألباب للسفاريني.
٧- الأداب الشرعية لابن مفلح.
٨- روضه العقلاء لابن حبان.
٩- البر والصله لابن المبارك.
١٠- أدب الدنيا والدين للماوردى.
١١- عيون الاخبار لابن قتيبة.
١٢- بر الوالدين للطرطوشى.
١٣- الأخلاق الإسلاميه عبد الرحمن حنبكه.
١٤- مفاتيح الرزق فضل إلهى.
١٥- قطيعة الرحم عبد الرحمن الحمد.
١٦- أقوال الحكماء للسرهيدي.
١٧- الضياء اللامع فى الخطب الجوامع - العثيمين.

١٨- فن التعامل مع الناس – عبد الله الخاطر.
١٩- الكبائر - الذهبي.
٢٠- احذر: أقوال وأفعال – الدكتور طلعت زهران.
٢١ - الدعوة العائلية – حجاج عبد الله العريني.
٢٢ - الإسلام وحاجة الإنسان إليه – محمد يوسف موسى.
٢٣ - المنهج النبوي في تربية الطفل – محمد نور سويد.
٢٤ - مسئولية الأب المسلم – عدنان حسن با حارث.
٢٥- زواج الاقارب بين العلم والدين على السالوس.
٢٦- تذكرة ابن حمدون.

و- اللغه والشعر:

١- لسان العرب.
٢- معجم مقاييس اللغه.
٣- نونية القحطانى.
٤- ديوان الإمام على.
٥- ديوان طرفة بن العبد.
٦- ديوان الأعشى.
٧- ديوان زهير بن أبي سلمى.
٨ – ديوان البحتري.
٨- ديوان محمود سامى البارودى.

ز- مجلات وجرائد:

١ - المجلة العربية.

❑★❑★❑

المحتويات